

الكتاب

الكتاب الأول في الفقه

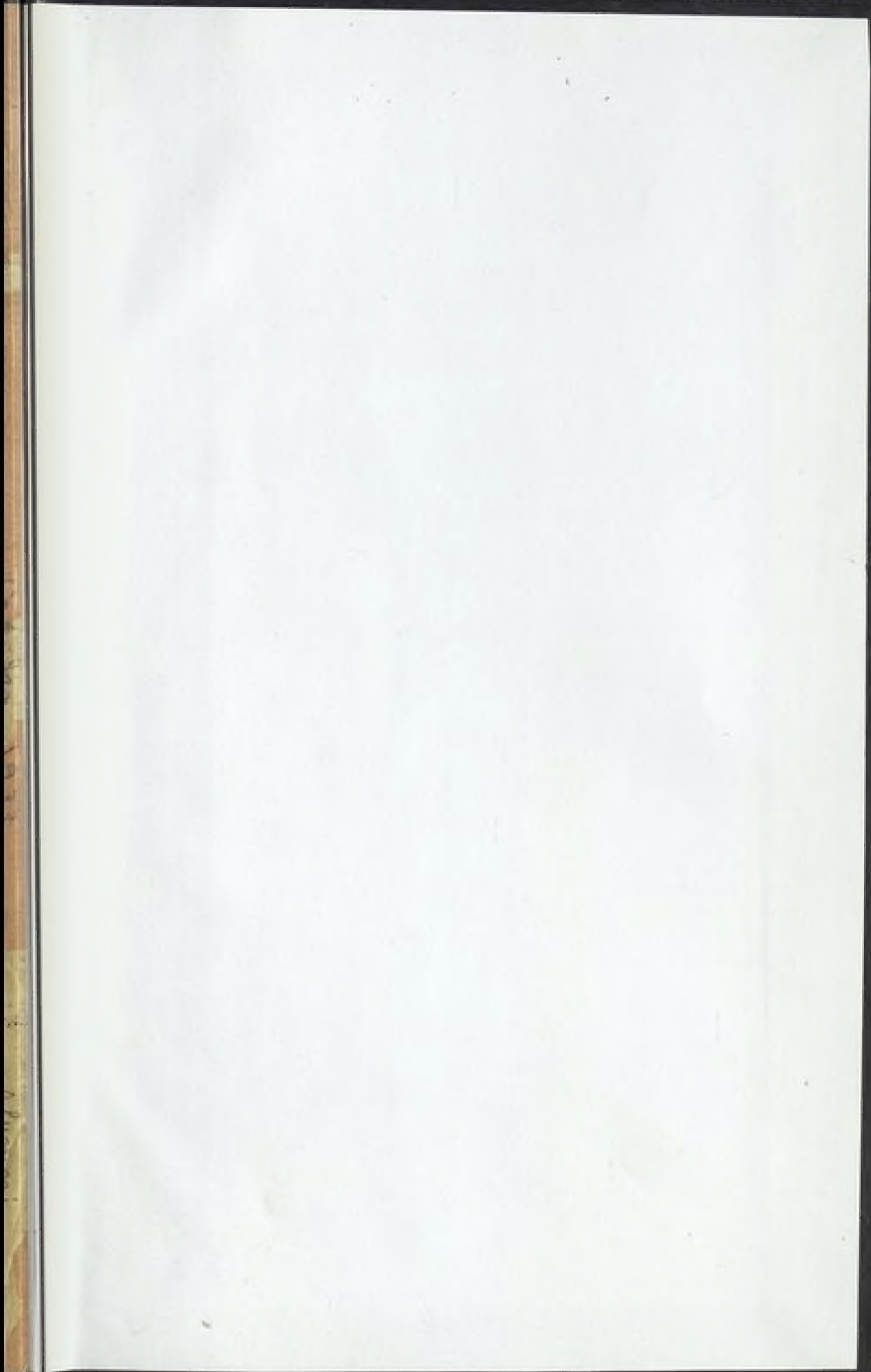
920.102: 100000

AMERICAN LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



ALMA LIBRARY





المناقب الابراهيمية

والمآثر الخلد يوس

المناقب الابراهيمية

تأليف عزتو اسكندر بك ابتكار يوس

بمعاونة جناب الهمام الماجد من اتصف

بالمكارم والمحامد عزتو محمد افندي

مكاوي المحترم عني الله عنهما

وادام لها العز والنعم

طبع على نفقة محمد

❖ وفي آخره لوعة الشاكي ودمعة الباكي للعلامة ❖

❖ الهمام المؤلف الشيخ صلاح الدين ❖

❖ خليل ابن ابيك الصفدي ❖

❖ رحمه الله ونفع به امين ❖

39772

محل مبيعه : في محل عبد الغفار اجمالي بحمص

طبع في مطبعة حمص سنة ١٩١٠

Oct. Jan. 1933

Alman

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الذي احيا ذكر الاولين باقلام المؤرخين
وجعل سيد الملوك والسلطين تذكرة للتاخرين على مدى الايام
والسنين والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين وبعد فيقول العبد
الضعيف صاحب هذا التاليف انه اذ كانت الحوادث المصرية
المتعلقة بالعائلة المحمدية العلوية في بر مصر واقطار سوريه لم تجتمع
قبل الان في كتاب ولا ديوان حتى ولا في تاريخ مصر الذي الفه
الجبرتي واشتهر في هذا العصر جردت نفسي لالتقاط اخبارها وجمعت
من محاسنها وفوائد آثارها كل ما راق وطاب واودعتها هذا الكتاب
واضفت اليه وقائع المرحوم المبرور صاحب الفضل المشهور والصب
الحمد المشكور البطل الهام وعلم الاعلام الرفيع المقام وزينة الليالي
والايام من ذلت لديه ليوث الاجام وخضعت له فرسان المعارك
والصدام ابراهيم باشا نخر الانام وسائر وقائعه في بر الترك وقطر الشام
وما رات الناس منه من البطش والاقدام والحلم وعدالة الاحكام

والحكمة والسياسة والنباهة والفراسه والمهابة والكرامه والعفة والاستقامة
والزفة والوداعة والفصاحة والبراعة والجود والكرم وعلو الهمم ولطافة
الذات ومحاسن الصفات الى غير ذلك مما يستحق الاعتبار وتزين
به صدور الاسفار فشاء بحمده تعالى كتاباً جليلاً وتاريخاً مفيداً
جليلاً يلتذ بمطالعه القاري والسامع وياخذ بمجامع القلوب والمسامع
نظراً الى ما تضمنه من لطائف الاخبار وما حواه من براعة السجع
ومحاسن الاشعار ولما تم واكمل على طبق الامل سميته المناقب
الابراهيميه والمآثر الخديويه وقسمته الى عدة ابواب ضمنها خوى
الكتاب وكان ذلك بمعاونة جناب الاديب البارع والبدر المذير
الساطع من بهي وافتخر وشاع فضله واشتهر فريد العصر والمحمول
بالسنة اهل مصر اعني به الفاضل اللوذعي والكمال الالمعي معدن
الجود والكرم ورب السيف والقلم عزتو محمد افندي مكاري المحترم
فانه اعانني في وضعه وترتيبه وبذل الجهد البليغ في تنقيحه وتهذيبه
حفظه الاله المتعال بمزيد العز والاقبال على مدى الايام والاجيال

الباب الاول

في اوصاف صاحب الهمة عليه والمآثر الباهرة السنيه محمد
علي باشا وولايته على الديار المصريه

الباب الثاني

في وصف نجله الكريم سمي الخليل ابراهيم

الباب الثالث

في مسير ابراهيم باشا بالعساكر الجهادية لمغالبة الديار الشاميه

الباب الرابع

في حصار عكا وفتح اساكل عربستان واستيلاء ابراهيم باشا على جبل
لبنان

الباب الخامس

في فتح عكا الحصينة وهدم ابراجها وقلاعها المتينة

الباب السادس

في مسير ابراهيم باشا البطل الهام بليوث الآجام وفرسان الصدام
لاخذ مدينة دمشق الشام

الباب السابع

في خروج حسين باشا من القسطنطينيه بالجيوش السلطانيه
والمهمات الحربية لمحاربة العساكر المصريه ووصوله الى عربستان وانتهزاه
في واقعتي حمص وبيلان

الباب الثامن

حرب قونيه

الباب التاسع

في عقد الصلح مع الدولة العلية والحكومة المصريه ورجوع
ابراهيم باشا الى سوريه

الباب العاشر

في ذكر من قدم على ابراهيم باشا من شعراء العصر وقدم له
المدايح والتهاني في نوال هذا النصر

الباب الحادي عشر

في ذكر ما اجراه ابراهيم باشا في بر الشام من الترتيب
والنظام وما اتفق لحضرته في بيروت مع رجل من ذوي البيوت
وحسن معاملته لسيدي المرحوم الوالد كفاني الله شر العدو والحاسد

الباب الثاني عشر

في تمرد دروز حوران واتقيادهم الى الطاعة بعد العصيان

الباب الثالث عشر

حرب نذب

الباب الرابع عشر

في خروج الحكومة المصرية من بلاد سوريه بعد حروب
هائلة قويه وانتقال محمد علي باشا و ابراهيم باشا الى رحمة رب البريه

الباب الخامس عشر

في مآثر حضرة الاميرة الكريمة والدة الهنمية ذات الافضل
العميمه والآراء الصائبة المستقيمة قرينة ابراهيم باشا الفخيمه وجدة
ولي النعم مولانا توفيق باشا الخديو المعظم ايد الله مجدها وتوفيقها
وجعل السعد خادما ورفيقها

الباب السادس عشر

في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديو الثالث وذكر ما
جرى في أيامه من الوقائع والحوادث

الباب السابع عشر

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديو الرابع وما اجراه في
الديار المصرية من الاصلاحات ذات الفوائد والمنافع

الباب الثامن عشر

ذكر ولاية حضرة اسماعيل باشا العظيم الشأن نجل المرحوم
المبرور ابراهيم باشا ساكن الجنان

الباب التاسع عشر

ذكر ولاية حضرة مولى الموالي وصاحب القدر العالي محمد
توفيق باشا الخديو الحالي اطل الله أيامه بالعز والاقبال تلى مدى
الدهور والاجيال

الباب العشرون

ذكر الامراء المصريين ارباب المناصب السنية . اقول وهذه
الابواب هي خلاصة مضمون هذا الكتاب وقد ذكرت فيها اهم
الحوادث المتعلقة بكل باب

الباب الاول

في اوصاف صاحب الهمة العلية والمآثر الباهرة السنية محمد

علي باشا وولايته على الديار المصرية

وكانت الديار المصرية في زمن المماليك البحرية وهي الحكومة
الكلمانية عديمة الانتظام من جور الولاة والحكام الذين استولوا
على البلاد واضروا بالعباد فاندثرت مآقي علومها واندرست معالم
رسومها من كثرة المظالم والضرائب والمغارم التي لا يستوفيهما قلم
كاتب ولا يحصيها رقم حاسب ما زالت في انحطاط واختلال الى
ان خرجت من تلك الحال وبلغت الى اعلى درجة من التمدن
والكمال في ايام حضرة الخديو المعظم والداودي المكرم المخفم انموذج
الفخر والجاه محمد علي باشا طاب ثراه الذي لم يوجد الزمان مثله
ولم يحاك احد فضله

عزيز سما في مجده وصفاته له فوق هام القرفدين منازل
به تفخر الايام والجد والعلا وكل مديح لم يكن فيه باطل
وكان مولد هذا البطل الحسام والليث الباسل الصرغام بمدينة
قوله من بلاد الارناؤوط وهي مدينة شهيرة في تلك الحدود والخطوط
وذلك سنة الف ومائة وثلاث وثمانين هجرية الموافق سنة الف
وسبعمائة وتسع وستين مسيحية ومات ابوه وهو صغير فتوكل به احد
الذوات المشاهير وكان بينه وبين ابيه محبة ومودة قديمة وصحة
فاعتنى به ورباه واحسن اليه وداراه وكان عنده كالولد المحبوب
واعز من يوسف عند يعقوب فلما شابا فحببا حازما اديبا شجاعا

مهيبة لا يقدر العواقب ولا يخشى حلول النوائب وكان يصاحب
الابطال ويلقي نفسه في الاخطار والاهوال املاً بالارتقاء وبلوغ
الآمال وقد اجاد من قال

يقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي
ومن طلب العلى من غير جد اضاع العمر في طلب المحال
وما زال على تلك الحال ونجمه في سمود واقبال حتى تقلبت
الفرنساوية على الديار المصرية سنة ١٧٩٨ م مهيبة في زمن حضرة
ساكن الجنان السلطان سليم خان فلما اخذوا بزمامها واستقلوا بتدبير
احكامها ارسل السلطان سليم الاوامر والمراسيم الى ولاية الاقاليم
يحثهم بالنهوض والقيام والمبادرة لقتال الاخصام ونودي بالتغير
العام في بلاد الاسلام فهاجت الشبان في كل جهة ومكان واجتمع
في قطر الشام لهذا القصد والمرام عالم لا يحصى ولا يرام غيرة نصر
الدين وطرد عساكر فرنساوين فقصدهوا مصر القاهرة امتثالاً للاوامر
الصادرة وكانت الدولة الانكليزية قد اتحدت مع الدولة العثمانية
لحاربة اجيوش فرنساوية واخراجهم من الديار المصرية بالقوة الجبرية
وارسلت عمارة بحرية الى بونغاز الاسكندرية مشعونة بالعساكر والمهمات
الحربية فكذب حضرة السلطان الى ولاية اساكل عربستان يعلمهم
بذلك الاتحاد ويحرضهم على الحرب واجهاد وانه مهما مر عليهم
من قباطين الانكليز الراسين بالمراكب على الثغور والبواغيز يقدمون

لهم الاكرام ومزيد الوقار والاحترام وهذا مضمون الكتاب
 الصادر المورخ في ٩ جمادى الاخر سنة ٢١٣ بعد الالف
 انه لا يخفى عليكم ان الجيوش الفرنسية قد هجموا على
 الديار المصرية ودخلوا مصر القاهرة وما يليها واستولوا على يافا
 وغزة والرملة ونواحيها ومرادهم ان يبيدوا امة الاسلام ويتغلبوا على
 المملكة بالتمام والان حضرة الهب المعظم سلطان الانكليز المنعم
 المتحد معنا باخلاص الطوبى على قتال الطائفة الفرنسية لفرط
 محبته ووفور مودته قد تكرم وجاد وقضى حق الوداد وسير من
 لدن حضرة الملوك عماره انكليزية مع العارة الممثلة تحت لواء
 افتخار الامراء الكرام في الطائفة المسيحية وعظيم الكبرياء الفخام في
 الامة العيسوية جناب محبنا المحترم السيروليم سدي سميت الاكرم
 وقد فوضناه التفويض التام لاجل هذا القصد والمرام ليدبر امور
 تلك الديار بحسن السياسة والاختيار فليعلم كل منكم تفويض محبته
 من لدنا في سائر الاقطار ومها مر عليكم من مراكمه واتباعه
 فقدموا لهم مزيد الاعتبار والاكرام والوقار وليكن معلوم الخاص
 والعام صداقته مع الاسلام واتحاده معهم على حرب الفرنسية
 الاخصام اعلموا ذلك واعمدوه غاية الاعتماد والسلام
 وكان محمد علي صاحب الجاش القوي قد نهض نهضة الاسد
 واتحد مع شجمان ذلك البلد وانضموا مع ذلك الجيش العرمم

وساروا الى مصر بمعية الصدر الاعظم فخارب في تلك الوقائع واشهر
 بالثبابة في هاتيك المعامع وامناز على الاقران وانتظم في سلك
 القرمسان وفي مدة قصيرة وايام يسيره التشر ذكره وشاع امره
 وصار ذا كلمة نافذه عند الاعيان والجهابذة واكابر الاشراف والاساتذ
 واستمرت الخروب بين الفرنسيات والدولة العثمانية والانكليزية مدة
 مديدة وجرى بينهم وقائع عديدة الى ان آل الامر الى خروج
 الفرنسيات من مصر تحت شروط معلومة وروابط مفهومة وكان
 الصدر الاعظم قد انعم وجاد قبل رحيله من تلك البلاد على
 محمد خسرو باشا بولاية الديار المصرية وامره ان يرفق بالرعية
 وجعل مركزه في القلعة السلطانية حسب الايام السالفة بدون
 مناقضة ولا مخالفة ومازال محمد علي يتقدم في المراتب ويرتقى
 في الوظائف والمناصب حتى صار في رتبة عليه ومنزلة رفيعة
 سنية وكان قد صمم العزم واخذ بالسداد والحزم على ان يمد باعه
 للقبض على زمام الملك وينظم الاحكام على احسن اسلك فأخذ
 ينفق الاموال على القرمسان والابطال ويستجلب خواطر الناس اهل
 الشوكة والباس ويستميلهم اليه باللطف والاياس حتى استعبد
 بطيب الخلق وحسن السريره واللين والرفق فكانوا يحبونه ويكرمونهم
 ويميلون اليه ويحترمونه ويتمنون له النجاح وبلوغ الارباب والارتقا الى
 اعلى درجات الرتب وكانت شوكة ممالك العز قد انكسرت بعد

ذلك الاقتدار والعز لانهم كانوا في سالف العصر قبل دخول
 الفرنسيون الى مصر اصحاب النهي والامر وبايديهم مقاييد الامور
 ونظام الجمهور ومحافظة الحدود والثغور وكانت الناس تنهابهم مهابة
 عظيمة نظراً لشوكتهم القوية وسطوتهم الجسيمة لاسيما في زمن
 اميرهم الشهير المدعو علي بك الكبير فانه كان قد اظهر العصيان
 وخلع طاعة السلطان وضرب باسمه السكة ونفى وزير الدولة الى
 مكة وتسلم زمام القلعة والبس الوجاقات السبعة واستبد بتدبير
 الاحكام واطاعه الخاص والعام وصفا له الوقت وراق وانتشر صيته
 في الافاق وحدثه نفسه ان يسطو على الشام والعراق ويبعد الى
 مصر دار السلطنة كما كانت في سالف الازمنة وكان له مزيد الفخر
 والاعتبار في تلك الديار حتى كان يخطب له يوم الجمعة على المنابر
 ولم يكن للدولة من حكم مصر في ايامه الا مجرد الاسم الظاهر ولما
 صفت للدولة العلية احكام الديار المصرية بعد رحيل الفرنسيين
 صدر امرها العالي الى محمد خسرو باشا الوالي ان يبادر في الحال
 بالجنود والابطال الى قتال المماليك المذكورين والفجرة المعتدين
 ويضع السيف فيهم ويلاشيهم عن بكرة ابيهم حتى تنظفي اخبارهم
 وتمحى آثارهم وكان بينهم قائدان وهما من اكابر الاعيان قد
 اتصفا بالشجاعة وقوة الجنان احدهما يدعى عثمان بك البرديسي
 والاخر محمد بك الاتنى فلما اتصل بهما هذا الخبر وكان قد شاع

واشهر اخذا في الاستعداد للمدافعة والجلاد فجمعوا الاخلاف
 والاحزاب والنحاز اليها الاعوان والاصحاب حتى صاروا في جم
 غفير وعدد كثير ونهضا لمقاومة الوزير وكان الباشا قد جهز لقائهما
 جيشا عريضا وقدم عليه قائدا جليلا معظما فاستظهرا عليه وكسراه
 وهزما جيشه وفرقاه وكان محمد علي الاسد الغضنفر من جملة ضباط
 العسكر تحت رياسة القائد الاكبر فاستشاط القائد حقا وغضباً
 واتهم محمد علي بانه كان لتلك الكسرة سبباً ثم وقعت بينهما المنافرة
 وادت الى الخصام والمشاجرة وكان ذلك القائد يعهد منه الطمع
 في الاستيلاء على تحت القاهرة فاجتمع بالوالي في بعض الليالي وعند
 امكان الفرصة قص عليه تلك القصة قائلاً ان فلانا قد اتخذ له
 احزاباً واعواناً وهو كل يوم في مهمة وحركة وقصده استخلاص
 المملكة وما زال يقدح في حقه بزناد شتمه ويمزق ستر حرمة
 بمطالب ذمه حتى اوغر صدره عليه واستدعاه ليلاً اليه وكان قد
 صمم التبه على ان يلقيه في اشراك المنية وبلغ محمد علي الخبر
 فانخذ لنفسه الحذر وحاول تلك الليلة ولم يحضر وفي اليوم الثاني
 لم يمكه التواني فنهض بالعجل خوفاً من حلول الاجل وانحاز اليه
 كل شجاع وبطل وانضم الى جماعة المهاديك البحريه واتحد مع عثمان
 بك واعصته القويه وجاهر الوالي بالاعتصان واستعان بمن تعصب
 معه من الشجعان فبادر الباشا لقتاله بجنوده ورجاله فتلقاء محمد علي

بأبطاله واسوده واشباله فاعانه الله ونصره وقبض عليه واسره وكسر
 جيشه وعسكره وكانت هذه الكسرة والنصره في سنة الف ومائتين
 وثمانى عشرة من سنى الهجرة ولما بلغت هذه الحوادث مسامع
 السلطان سليم الثالث عظم عليه ذلك الامر وارسل على باشا
 الجزائري الى مصر ليجلس مكان محمد خسرو باشا وليقبض على
 العصاة ويتصرف يقصاصهم كيفما شاء وعند وصوله الى هناك اخذ
 بحتال على المماليك والارنوط ليقبضهم في شرك الهلاك فخلعوا
 طاعته وخذلوه ثم حاربوه وقتلوه وبعد ذلك باياد وقع النزاع بين
 محمد بك الالفي وعثمان بك البرديني رغبة في السياسة وطعنا
 بنوال الرياسة فمادى بعضهم بعضاً وازدادا حسداً وبغضاً وكان
 لعسكر الارنوط مال مكسور عند عثمان بك المذكور منذ ثمانية
 شهور فلما راوا ضعف حاله وقلة انصاره ورجاله طالبوه بالرواتب
 والجوامك وشددوا عليه في ذلك باتفاق محمد علي ايست المعارك
 واذا لم يكن له قدرة على مقاومتهم ولا طاقة في دفع مصاصمتهم
 اضطره الحال ان يوزع المال على اكابر البلاد ليرضي العسكر
 والقواد فلم يجيبوه الى طلبه ولم يكثر احده ولم يلب طلبه
 وضافت حيله المنصر في داره في جماعة من انفاره فوفدت عليه
 العساكر والاغوات واحاطوا بقصره من جميع الجهات في طلب
 الرواتب والتفقات وكذلك فعلوا بغيره من البكوات واكابر المماليك

ارباب الولايات وبقي عثمان بك في منزله بضعة ايام وهم يترددون
 اليه بالتهديد وطلب الانتقام الى ان ساعدته الفرص ففر
 من بين ايديهم كما يفر العصفور من القفص وقصد بلاد الصعيد
 وانكسر عزيمته الشديد واذا كان محمد علي قد حصل على صداقة
 العلماء ومحبة الاهالي ارتقى بهذه الوساطة الى ان يكون هو الوالي
 وفي اثناء ذلك اجتمعت الاكابر العمدة واقاموا محمد علي قائم مقاماً
 على البلد وارسلوا محمد خسرو باشا الى القسطنطينية وولوا مكانه
 رشيد باشا محافظ الاسكندرية وقبوه نائب الحضرة السلطانية على
 الديار المصرية ولم يمض الا زمن يسير بعد هذه الحركة حتى توفي
 عثمان بك ومحمد بك وصفت لمحمد علي ولاية المملكة ولما بلغ مسامع
 حضرة السلطان هذا الخبر اخذه القلق والضجر وازداد به الغم والكدر
 وامر مصطفى باشا باش قبطان ان يسير الى مصر من غير توان
 ويدارك بحسن التدبير والاهتمام ما اختل هناك من النظام واصحبه
 بفرمان الى محمد علي باشا العظيم الشأن يامره بالتوجه الى ولاية
 سالونيك وان يصير تسليم مصر الى اكابر المالك بشروط ان يدفعوا
 في كل سنة خمسة آلاف كيس الى خزانة السلطنة فاجاب وامثل
 وسار على عجل بمجنود كافيه وسفن حربية وافية وعند وصوله الى
 مصر شرع في ذلك الامر فلم تقبل ذلك اكابر البلاد ورؤساء
 العساكر والقواد وتوجه منهم العلماء والاعيان واكابر العمدة والاركان

وقصدوا ذلك الوزير المشار اليه فدخلوا وسلموا عليه ومثلوا بين
يديه فالتفتهم بالبشاشة والترحاب وآتسهم بالحديث والخطاب وجاراهم
بالسوء آل والجواب فقالوا له بصدق لسان اننا عبيد الله ورعايا
السلطان ومهما برزت الاوامر الشريفة والمراسيم السامية المنية نلتقاه
بالقبول والامثال ونسلك بموجبه في الحال الا في هذا الامر
القطيع فاننا لا نسمع ولا نطيع لانه كما لا يخفى على معاليك ان
جماعة الممالك هم مصدر الظلم والفساد في هذه البلاد وقد اهلكوا
بجورهم العباد فلا يوجد بينهم من يصلح للرياسة ولا من يعتمد
عليه في الاحكام والسياسة ثم اخذوا يشنون على محمد علي ويظهرون
ويصفونه بالنقصا . حسن الشائل وانهم لا يقبلون واليا غيره
على الاطلاق نظرا لما فيه من الدبابة والاستحقاق وعلو الهمة ومكارم
الاخلاق فلما رأى شدة ميلهم اليه واعتمادهم دون غيره عليه اجابهم
الى مطاوبهم ولبى دعوتهم كمرغوبهم وانهى فيه الى السباب
العالي حسب التماس الاهالي فصدرت الاوامر السنية والارادة
السلطانية من ديوان القسطنطينية بتقريره على ولاية الديار المصرية
وذلك سنة الف ومائتين وتسع عشرة هجرية ولما تمت دولة
وامتدت صولته واستقرت له الولايات وبلغ القصد والغاية بعد دولة
الممالك لراحة العباد وسمى في اصلاح البلاد بعد ذلك الفساد
فهو تغورها وامصارها وامن سبلها وافطارها وابطل ما كان فيها

من المظالم وقمع شوكة كل باغ وظالم واصليه الاحكام والقضايا وجعل
التسوية بين الرعايا ورتب فيها التعليمات العسكرية وبنى الترسانات
البحرية والسفن الحربية واسس فيها المدارس والمطابع وجدد ما
كان مندرساً من الفنون والصنائع وصيرها وطن الاداب والمعارف
وكعبة يجبي اليها نفائس التحف والمطاييف فابتهجت بطلعه اقطار
البلاد وفرت به عين العباد

فقرت به عين الانام مسرة وكل غدا بيدي البناء له جهورا
فذا رافع كفاً وذا باسط يداً وذا ناشر حمداً وذا ساجد شكراً
وبالحقيقة ان هذا العزيز يستحق ان تسطر مناقبه بالذهب
الابرز تخليد ذكره في تلك الديار على طول الدهور والاعصار
حسبما جرت عادة الملوك الكبار اصحاب الشوكة والاقتدار الذين
طار صيتهم في الاقطار وفتحوا المدن والامصار لانه لم يكن دون
الاسكندر الكبير او سيزوستريس الشهير في الشرف والفخار ورفعة
المقام والاعتبار ولا في الفضائل وكثرة الآثار لاني هذين
الملكين والسلطانين العظيمين لقدما زمام السلطنة وحصل علي مزيد
الفخر في تلك الازمنة بدون ادنى تعب ولا مشقة ولا نصب وانما
كان ذلك الشرف يتناوله الخلف عن السلف واما حضرة ساكن
الجنان محمد علي باشا العظيم الشأن فانه تبوء اسرة هذا المقام بما
كان عنده من الحزم والاقدام وصدق النظر في سياسة الاجكام

وقد ظهر مما تقدم فضل هذا الاسد الغششم الذي عاد به للدولة
 المصرية شباها بعد ان كانت قد هومت قباها واخرجها
 من ذلك الظلام ومنعها بالامن والسلام ورتب احكامها على احسن
 هيئة واكمل نظام وجعلها من اشهر ممالك الدول كما كانت في زمن
 القراغة الاول

هكذا هكذا والا فلا لا من تسامى بجده واستطالا
 ملك جل في الفخار فامسى للسلطين قدوة ومثالا
 اصفي علا على كل عال بفعال تستغرق الاقوالا
 قد دعوه الي نغرا فقلنا صدقوا ان شأنه قد تعالى
 ودعوه محمداً وعليه الحمد من كل امة قد توالى
 عرفت مصرفه فبهي تني كل يوم عليه ما الدهر طالا
 وكان محباً للعلماء والنبلاء يمز الادباء والفضلاء يصفي الى
 كلامهم ويبلغ في احترامهم مفرماً ببطانة اخبار الاولين وسير
 الملوك والسلطين وكان قوي الذكاء والخيالة اذا عرضت له دعوى
 او مسألة لا ينساها ابداً ولو طال عليها المدى فتح اليمن وبلاد
 السودان واستولى على عربستان وحارب عبدالله باشا والي عكا وكسره
 وقبض عليه واسره عن يد الاسد الكرار والبطل المغوار الذي افتتح
 المدن والامصار وخضع له كل صديد وجبار صاحب الهمة العلية
 والصولة اخيدرية حضرة نجله الكريم سبي الخليل ابراهيم كما سيأتي

بيان ذلك في مكانه وكان مع عظمته وعلو شأنه لطيف الذات
 ظريف الصفات متصفاً بمكارم الاخلاق وعلو الهمة ومعاملة الكبير
 والصغير بالمكارم والرحمة لا يميز بين الغني والصلوك ولا يحابي المالك
 على المملوك ومن اخباره اللطيفة ونوادره الغريبة الظريفة انه مر
 في بعض الاحيان بصبيان يلعبون في بستان فلما راهم وقف ينظر اليهم
 ويتفرج عليهم فينمنا هم يلعبون بعضهم مع بعض اذ وقع طربوش
 احدهم على الارض وكان الطربوش رثيلاً حقيراً لان الولد كان
 مسكيناً فقيراً فاتهم الصبي ليتناوله فالتقطه محمد علي فخبى كان
 في يده وتناوله وقابل الاولاد بوجه بشوش وقال من يشتري
 هذا الطربوش فاقبل الفلاني اليه وجعلوا يتزايدون عليه فقال الغلام
 لا ابيعه الا بمائة دينار ولا انقصه شيئاً عن هذا المقدار فالتفت الى الولد
 وقال يا للعجب من هذا الطلب فقال يا صاحب المئة الخسيسة والمنزلة
 الرفيعة العظيمة ان الطربوش الذي يكون دلاله محمد علي باشا لا
 يكون باقل من هذه القيمة فعجب من خطابه وسرعة بديته في
 جوابه وقال استعن بها على ما تختار ومما قيل من هذا القبيل
 ان رجلاً من اهل البصرة يقال له الدرويش اميني وقف امامه
 مرة فامر له بالف من الفضة يستعين بها على شأنه فاخذها ومضى
 وهو مستخف باحسنائه ثم عاد في اليوم الثاني اليه ووقف بين
 يديه فامر له بمثل ذلك القدر فاخذته وشكر ثم عاد في اليوم الثالث

فضيّر منه واعرض بوجهه عنه فقال الدرويش اطال الله بقاءك
 ورفع مجدك وسناك انني رجل فقير ضعيف الخال حقير قد قصدت
 جنابك ويمت بآبك طمعاً باحسانك ونوالك وجزيل كرمك
 وافضالك لعلمي بأنك كهف الفقراء وملاذ الغرباء ومحط الرجال
 وغيث النوال وكعبة الامال وقد ضجرت مني وانتهرتني واعرضت
 وجهك عني واحقرتني لانك اعطيتني خمسين غرساً في تراددي
 عليك نوبتين فاجعلني مكانك وتردد علي في الساعة مرتين وانا
 اعطيك كل مرة الف غرس يتبعها بعض امتعة من نفائس اللبس
 والفرش فتبسم ضاحكاً من هذا الكلام وامر له بثلاثة آلاف غرس
 على التمام فتوجه منشرح البال منبسط الآمال وهو يدعو له بطول
 العمر والبقاء ودوام العز والارتقاء وبالجملة والتفصيل فانه كان
 من افراد هذا الجيل ليس له شبه ولا مثل اقام معامل كبيرة
 وابنية شهيرة وجوامع كثيرة منها جامع تربته الذي انشأه بالقلعة
 واتقنه باحسن انواع الصنعة وهو اشهر من ان يذكر يفوق أيا
 صوفيا بحسن المنظر قد حلاه باعظم انواع الزين من نفائس الانسجة
 والذخائر الثمينة التي تدهش عقول المتفرجين وتذهل عيون
 الناظرين واقام له منارتين عظيمتين في الجو شاهقتين ورضع ارضه
 بالمرمر من الابيض والاهر ووضع فيه الساعة الفاخرة التي يسمع
 دقها اكثر اهل القاهرة بني مساجد القطر وجددها ورتب لها

اوقافاً وحددها وجعل لكل جامع قدراً معلوماً من الاطيان مخلصاً
 على طول الزمان موفواً من الاموال والعشور فياله من عمل محمود
 مشكور ، ابتنى في الحرمين التكايا للصدقات ورتب لها ما يلزم من
 النفقات ومحا اثار الكولمان اهل البغي والعدوان ابادهم بالملكيدة
 والحيلة اذ جعل سفر ولده طوسون الى الحجاز وسيلة فاعد لهم
 ولجئة فاخره داخل قلعة مصر القاهرة واستدعاهم للحضور والاجتماع
 على سبيل الضيافة والوداع وبعد حضورهم واجتماعهم مع حواشيهم
 واتباعهم هم عليهم العسكر واذقهم الموت الاحمر ولم يسلم منهم
 احد في ذلك اليوم سوى رستم كاشف وكان من شجعان القوم
 فلما عاين البلية وعرف باطن الطوية ايقن بحلول المنية فعمد الى
 حصانه اسرع من البرق في لمعانه فركبه بالهمل وقد استقتل واقتم
 السور بقلب جسور والتي نفسه من اعلى القلعة وعند اقترابه من
 الارض وثب عن ظهر الجواد بكل خفة وسرعه فنزل سالماً وقتل
 الحصان ونجا ذلك البطل بعناية الرحمن فولى وهرب خوفاً من
 العطب ثم ارتحل من الديار المصرية وقصد الاسنانة العلية وهو
 متكر الهيئة واللباس لا يكاد يعرفه احد من الناس ولما شاع امره
 وظهر استعظمه جميع البشر وتحدثوا بقصته في كل مكان لانهم
 راوها من عجائب الزمان وبهذه الوسيلة اشتهر واعتنى وبلغ القصد
 والمنى وارثى الى اعلى درجات المعالي وصار من اعيان وزراء

الباب العالي فياله من بطل على هذا العمل الذي لم يسبقه عليه
السان من صناديد الفرسان لعمرى انه عنتره زمانه وفريد عصرة
واوانه اقول وباندثار الماليك الفجار عاد لقطر مصر العمار
بعد اندراس معالنه من سنين واعصار وصفت لحمد علي باشا الاحكام
من ذلك النهار فمدن اهل مصر ورباهم وامن ديارهم ومأواهم وسأوى
بين العدو والصديق وقطع دابر قطاع الطريق لاسيما اشقياء سكة شبرا
التي هي الآن جنة خضراء غرس بها الاشجار والبساتين وانواع
الازهار والرياحين حتى صارت نزهة للناظرين ويقصدها الناس
من كل فج والسباح من عرب واتراك وفرننج قد فاقت يقصورها
الاندلس في غابر الزمان وازدهت تيهاً على ابنة باريز وسامر
البلدان اقام بها الدور الشاهقة المزخرفة والقصور الجميلة المستظرفة
التي تضاهي بارتفاعها الابلق وتباهي عمدها واخورتق في النزاهة
وحسن الرونق فكم له من محاسن ومآثر وكم بنى من جسور وقناطر
منها القناطر الخيرية ذات المحاسن البهية شادها ببناء محكم الاساس
يذهل عقول الناس وضبط منافذها بجديد وثيق لحفظ الماء لسقي
المزروعات في زمن التماريق وهي من اعاجيب الدنيا قل ولا تنال
كانما صفت عيونها بنظم كاللآلى صرف عليها من الفرنكات خمسة
واربعون مليون وقال لسان الحال

لمثل هذا فليعمل العاملون فبحر الاواخر عن اصلاح ما بها

من الخلل وتخير فحول المهندسين في اجراء ما يوافق ذلك من العمل
 فيا صاح ناشدتك الرحمن ادع له بالعمو والغفران وحدث بما آثره
 الحسان في كل مكان وهي مدينة قوله بهذا البطل الهمام وقل لها
 افتخري به على جميع الانام وكن شاكراً جريه وفضله ذاكراً حليمه
 وعدله وكانت ايامه كاظراً المذهب تعد من ايام الهنا والطرب
 كثرت فيها التجارة والغنى وبلغ الناس بها غاية المني واتسعت دائرة
 المعاملات بين مصر وبقية الجهات وازدهت عليها الخلائق من
 المغارب والمشارك وازداد اهلها وسكانها وارتفع قدرها ومكانها
 وانتشر صيتها وشانها وعاد اليها شبابها القديم في ايام هذا الخديو
 العظيم بعد ان كانت عجوزاً عقيم ومن آثاره القخمية ومشروعاته
 العظيمة ذات المنافع الجسيمة حفر ترعة الباجورية وباسوس والشرقاوية
 وترعة العطف والقلبيوية ولا سيما ترعة الحمودية التي كانت تدعى
 بالاشرفية نسبة الى الملك الاشرف المنعوت بالفضل والظرف وكانت
 خاليجاً صغيراً قد ارتدم وصار وجوده على نمادي الايام كالمدم
 فاعاده على احسن طريقة وجعله ترعة واسعة عميقة بحيث تسلك
 فيها السفن البخارية حاملة الركاب والبضائع التجارية وبذلك اتصلت
 القاهرة بالاسكندرية على اقرب طريق واسهل سبيل بعد تلك
 المسافة الشاقة والمدى الطويل وقد اجتمع عليها من القملة والخدمة
 اكثر من ثلاثماية الف نسمة وكان مدة حفرها نحو سنة وشهر.

واكتسب بهذا المشروع المفيد مزيد المدح والشكر ومن مساعيه
 الخيرية سده التبعة القرعونية التي كانت عبية النفع ومضرة
 باراضي الزرع وكان تقيم هذا العمل بعيداً عن الامل لالتزامه تحويل
 جانب عظيم من الليل عن مجراه العريض الطويل وبعد بذل
 الجهد ومقاساة التعب والكد التدت على احسن اسلوب وحصل
 المطلوب طبق المرغوب اجزاه الله خيراً على هذا الاحسان وجعل
 اسمه مخلداً على ممر الزمان

الباب الثاني

في وصف نجله الكريم سمي الخليل ابراهيم

ومن تمام سعده واقبال عزه ومجده ان الله تعالى رزقه اولاداً
 كراماً لم ترق الا لحاظ اشخاصاً تضاهيهم رفعة ومقاماً وشجاعة واقداماً
 وآداباً وكالاً وسعادة واقبالاً وحسناً وجمالاً وسماحة وفضلاً وحزماً
 وعزماً وفهماً وحلاً ولطافة ووداعة وفصاحة وبراعة منهم ابراهيم
 وهو اكبرهم وطوسون وسعيد واسماعيل وحسين وحليم ومحمد علي
 وهو اصغرهم وكان ابراهيم اعظمهم واشهرهم واشجعهم واقدراً ولد
 في مدينة قوله بعد زواج ابيه بسنتين وكان متوسط القوام ممتلئ
 البدن اشهل العينين مستطيل الوجه والاذن يعد في الرجال باني
 اجش الصوت لا يهاب الموت اذا لطم ليشاً اعدمه او هاجم موكباً
 فرقه وهزمه وكان مع هذا البطش والاقتدار والمنزلة العظيمة المقدار

محباً لفسكره لا يميز ذاته عنهم جاعلاً نفسه في الاسفار والحروب
كواحد منهم فكانوا يخضعون له تعظيماً لمقامه واعتباراً ويذلون
انفسهم قدامه طوعاً واختياراً وكان ابوه يحبه ويميل اليه ويعول
في امره عليه ويقلده اعظم المهمات ومباشرة الحروب والغارات
لعله يحزمه وشدة بأسه وعزيمه فما سار في امره الا فلاح ولا قصد
حرب قوم الا فاز ونجح

الباب الثالث

في مسير ابراهيم باشا بالعساكر الجهادية لمحاربة الديار الشامية
وكان قد حدث في تلك الايام بين محمد علي باشا وبين عبدالله
باشا والي عكا نفور وخصام وكان عبدالله باشا المذكور لا يركن
اليه في امر من الامور عديم الوفاء منقلب الاراء لا يرعى عهداً ولا
يحفظ ودأ عاكفاً على المصالح واللذات مشغوفاً بسماع الاغاني
والاصوات وكان ابوه من مماليك احمد باشا الجزار يقال له علي
اغا الخزندار فسأعده يد العناية حتى تمكن من الولاية وطابت
له الايام وبلغ القصد والمرام وكان دأبه الاهتمام باقامة العمار وتحصين
عكا بالابراج والاسوار وجمع الاموال من جميع الاقطار وكانت
قد استولى عليه البطش واستخفه البطر وطيب العيش حتى حاد
عن الطريق المحمود وتجاوز في الاحكام الحدود واشهر العصيان على الدولة
ذات الشوكة والصولة املاً بالاستقلال وطمعاً في الاموال ولمسا

بلغ حضرة السلطان محمد خان ما هو عليه من الهديان
وحره وامهيبان وارتكاب الظلم والعدوان غضب من سوء فعله
وارسل عسكرياً لقتاله تحت راية البطل المهام درويش باشا والي
دمشق الشام فحاصره زمناً طويلاً واذاقه عذاباً ويلاً ولما اشتد
عليه القتال واحاطت به الاهوال وانقطع عنه الاموال من سائر
البلاد صمما من غفلته واستفاق من سكرته ودخله الخوف والفرع
واضطرب من الهلع وايقن انه اذا طالت عليه تلك الحالة ياخذ
اسيراً لا محاله فابتدر بالعجل لاستدعاء الامير بشير حاكم الجبل
وكان من افراد الرجال موصوفاً بالفضل والكمال وحسن التدبير
وجميل الخصال ولقد اجاد من وصفه فقال

انما انت واحد غير اني لست اعطيك منزل الآحاد
فماذا يبالغون وهم لا يبلغون الانصاف بعد الجهاد
لك خوف لو طارت العين في الحلم لصارت تخاف طيب الرقاد
تفخر الناس بالجدود ولكن انت تفر الآباء والاجداد
وارسله الى الديار المصرية ليستميل له خاطر الحضرة
الخديوية لاصلاح امره مع الدولة العلية وكان محمد علي باشا له
وجاهة كبيرة ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيره فلبى دعوته واجاب
طلبه وكذب في شأنه الى القسطنطينية واسترضى الدولة العلية
عنه بموجب ارادة سنه ورفع عنه تلك الشدة بعد ما اقام في

اخضرار مدة وحار له عليه حق الجليل والاحسان على مد السنين
 والازمان غير ان عبد الله باشا كبرت نفسه بعد ذلك عليه وجحد
 فضل محمد علي باشا واحسانه اليه وحصول العفو له على يديه
 وسلك معه سلوك اللئيم الذين لا عهد لهم ولا ذمام وتكلم
 في حقه بما لا يليق من الكلام فلما بلغ محمد علي باشا
 هذا الخبر زاد به الغيظ والكدر وكاتب الى حضرة السلطان
 محمود خان يعلمه بهذا الشأن ويطلب من جلالة خلع عبد الله
 باشا من ولايته فلم يكثر بخطابه ولا اجابه على كتابه فانه مظن
 منه ذلك الامر ورآه من عجائب الدهر ولم يعد يمكنه الاضطراب
 على ذلك الدل والعار فجز والده اسد الاساء وسيف الجهاد ابراهيم
 باشا فارس ميدان الطراد ان يسير خرب الديار الشاميه واردفه
 بالعمارة البحرية واصحبه بثلاثين الفا من ثجمن العسكر الذين لا
 يبالون بالخطر ولا يهابون الموت الاخر

جيش يسير النصر فوق نوائه فتخافه الاعداء قبل لقائه

جيش تدل له الرقاب وتحنى طوعا وتحمى تحت ظل حماه

فسارت العساكر بالمهيات والذخائر قاعده الديار الشاميه

على طريق البريه واما القائد العام والبطل الهام ابراهيم باشا

فارس الصدام فانه نزل في العمارة البحرية مع باقي الجيوش الجهاديه

وكان من جملة معاونيه عباس باشا ابن اخيه و ابراهيم باشا الصدي

وغيرها من القواد المشاهير وكانت العارة المصرية مؤلفة من ستة
 عشر قطعة حربية وسبعة عشر سفينة وسفينة تحت رئاسة اسد
 العرين ونخر الامجد المعتبر بن عثمان بك نور الدين وكان خروجه
 من بوغاز الاسكندرية في غرة جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ هجرية
 فوصل في خمسة ايام الى حيفا احدى اسافل الشام وفي بلدة
 تبعد عن عكا ثلاث ساعات واهلها يملعون نحو ثلاثة آلاف من
 النسمات ولما اقلت المراكب مراسيها نزل ابراهيم باشا اليها وخيم
 في نواحيها فتزلزلت بقدمه الديار الشاميه وارتجت من هيئته رجة
 قوية واما باقي الجيش والعسكر الذي سار على طريق البر الاقفر
 فانه كان قد واصل التسيار وجد في قطع البراري والقفار فاشرف
 على عكا من الجهة الجنوبية في عشرين من تشرين الثاني
 سنة ١٨٣١ مسيحية وانضم الى باقي الجيوش المصرية وكانت
 لما بلغ عبدالله باشا هذا الخبر وابصر اجيش والعسكر احاط به
 الخوف وانزعج وطار من عينيه الشرر ففرق الاموال وجمع
 الفرسان والابطال وشرع في تحصين القلع والاسوار واستعد للقتال
 والحصار وارسل يستدعي من حوله من الاكابر والاعيان وكتب
 بخط يده الى الامير بشير حاكم لبنان يستنجد به هذا الامر ويقول
 له ان المشايخ بني الجرار وبني صفر وغرب الساط وبني صفر
 ينتظرون قدومه اليهم ليكون رئيسا عليهم وفي اثناء ذلك يذكره

بالصدقة القديمة والمحبة ويثني على امانته وحفظه المودة والصحبة متمثلاً
بقول الشاعر

وانت الخالص الذهب المصفى بتزكيتي ومثلي من يزكي
وكانت عكا في تلك الايام من اشهر مدن بلاد الشام وكرسي
الولاية والحكام ذات ابراج حصينة وقلاع متينة مشحونة بالذخائر
والمهمات والالات القتال والجيش والوفياء من رجال الحرب وفرسان
الطعن والضرب نحو خمسة الاف مقاتل بين فارس وراجل وكان
ابراهيم باشا صاحب الهمة العلية قد تقدم نحو عكا في فرقة قوية
من الفرسان والطويحيه وبني اتراساً متينة على تل هناك تجاه
المدينة يقال له تل الفخار ووضع عليه المدافع والقنايل الكبار
وارسل الى عبد الله باشا يقول له ضمن كتاب مع رسول ان يسلم
المدينة بطريقة امينة ويرجع دم العباد وسلامة البلاد ويبادر الى
ملاقاته ويعتذر مما جناه ويدخل تحت لواء الحضرة الخديوية ويعيش
باقي ايامه في رغد ورفاهية وعين له اجلا للحضور وتسليم الحدود
والشعور ان تجاوزه ولم يخضع لامره يضربه بالمدافع ويجعل كيداً
في نحره وحينئذ ياخذ اسيراً ويرسله الى مصر ذليلاً حقيراً ولا
يعود يفيد الندم بعد فوات الفرصة وذلة القدم فلما وقف على كتابه
وفهم خوى خطابه شق ذلك عليه وعظم الامر لديه وحدثه عقله
السقيم بدم الطاعة والتسليم وتصلب على المحاصرة والمقاومة واصر

على المدافعة والمصادمة ورفض امر الصلح والمسألة وسعى بسوء
 تدبيره على خرابه وتدميره ولم يعلم ان ايامه قد مضت ومدة احكامه
 زالت وانقضت واستمرت بينهما المخاربة نحو عشرة ايام وعبد الله باشا
 يحاوله بالكلام ولا يقدر عواقب الايام وكان مستر يتراوت فنصل دولة
 الانكليز في بيروت لما بلانته هذه الاخبار سار قاصداً تلك الديار
 واجتمع براهيم باشا في ايام بعد مسيرة ثلاثة ايام واخذ يلومه
 بالكلام على قدومه الى الشام بدون رخصة سنية من الدولة
 العلية بقوله له ان هذا العمل لا توافق عليه بقية الدول لا سيما
 الدولة الانكليزية المتحدة مع الدولة العثمانية على حفظ الصداقة
 واخلاص الطوية فاغتاظ ابراهيم باندا منه وتأثر غير انه لم يظهر
 له من غيظه ما اخبر وقال له اعلم ايها الصديق الاكرم اني حضرت
 بالمساكر الجهادية لاستخلاص الديار الشاميه انتقاماً من عبد الله
 باشا بامر الحضرة الخديوية فان كان ذلك لا يوافق دولة الانكليز
 فعليها ان تخاطب به جناب والدي العزيز متى امرني بالرجوع عدلت
 عن هذا المشروع والا فلا ارجع بدون ذلك ولو قامت علي جميع
 الممالك ثم نهض على الامر وتوجه قاصداً الى اسكر ولم يلتفت الى
 حديث مستر ابوت وكلامه ولا اكثرت بتعنيفه وملامه واستمر
 على ما كان قد قصد من ضرب الاسوار وهدم
 البلد

الباب الرابع

في حصار مدينة عكا وفتح اساك كل عربستان واستيلاء

ابراهيم باشا على جبل لبنان

فلما انقضت مدة الميعاد المهود وفات وقت الأجل الموعود
وعبد الله باشا ما زال مصراً على عدم تسليم البلد وباقي الحدود
استعد ابراهيم باشا وتاهب في اليوم الرابع من شهر رجب على
ضرب المدينة وهدم ابراجها الحصينة فارسل رؤساء الطوبجية
وقائد العمارة الحربية بأمرهم باطلاق النار على الابراج والاسوار
فامثالوا ما امر ولم تكن الالهة البصر حتى اطلقت المدافع والقنابل
على الحصون والمعقل وكان يضرب متصلاً من الخارج والداخل
كالغيث الهاطل وكان قد ارسل الى الامير بشير حاكم الجبل
كتاباً يستدعي حضوره بالعجل ليقرره في مركز حكومته ويعيش
سيفاً ظل نعمته فلما وقف على هذا الخطاب داخله الخوف
والاحتساب وجمع اكابر لبنان ومن يعتمد عليهم من الاعيان واستشارهم
في الشأن فاستقر رأي الجمهور على عدم التسليم والحضور خوفاً من
عواقب الامور فلما ابطأ في قدومه واصر على عدم تسليمه استشاط
ابراهيم باشا غضباً وتبدلت فرات حلمه لهما وكان قد صمم النية
على ان يدهمهم بالعساكر النظامية ويقبض عليه جبراً ويستولي على
لبنان قوة وقهراً ثم توقف وعدل عن هذا العمل لان اباه كان

اوصاه به قبل خروجه من القاهرة بالعساكر الظاهرة نظراً
 لما كان وقع له عنده من التقرب والمودة وذلك عند زيارته الديار
 المصرية ثم له امام الحضرة الخديوية في طلب العفو والامان حسبما
 قررناه قبل الان فكتب الى والده بنصر يعلمه بهذا الامر فلما
 وقف العزيز على هذا الخبر داخله الغيظ والكره وتأثر من مخالفة
 الامير وكتب اليه كتاباً على سبيل التوبيخ والتحذير يلقبه على
 ذلك المنصور ويتهمد به بسوء العاقبة ان تاخر عن الحضور فمن
 جملة اخواه ومضمون ما احراه ان لم تحضر الى حاضرة والدي ابراهيم
 باشا سريعاً وتكون لاوامره منقاداً مطيعاً فيمكن عندك بقية اني
 ساحرب مساكنك واغرس ارضها عباة تمراً وقد بالغنا في الصيحة
 وحذرناك باقوالنا الصريحة فاستيقظ من رقائك واحذر عاقبة عبادك
 قبل ان تهجم العساكر عليك وتأخذ ولايتك من بين يديك
 فاضطرب الامير بشير من هذا التهديد والتذير وتأثر فيه هـ
 الكلام وخاف عواقب الانتقام فصمم على التاهب والمسير الخدمة
 ابراهيم باشا بدون تأخير وركب من يومه في مائة فارس من قومه
 ولما اقبل على العسكر خرج الى ملقاه امير الالوي العكر وتبعه
 بحري بك رئيس الكتبة ومصطفى اغايرير وبعض روسا العساكر
 والجند بالموسيقى والاطلاق البارود
 فدخلوا به الاوردي بركب عظيم وازل في الخيمة المعدة له

قرب خيمة ابراهيم وكان ابراهيم باشا حينئذ يجول بين الجيوش
 والقواد ويرتب الصفوف والاجناد وينشطهم على الهجوم والثبات
 والحرب قائمة على عكا من جميع الجهات وعند رجوعه في المساء
 استدعى الامير اليه فطيب قلبه وصفا خاطره عليه ولاصفه بالحديث
 والكلام واجلسه معه على الطعام وشمله باللطف والاحسان
 وفوض اليه احكام جبل لبنان واتخذ من جملة الخواشي والاعوان
 وكان قد ارسل فريقاً من العساكر بالمهات والدخائر لاستفلاص
 الثغور والاساكن تحت قيادة الليث الباسل والبطل الحاحل صاحب
 القدر العلي حسن بك المنسطري فاستولى على صيدا وصور ويبروت
 وطرابلس وباقي الثغور وكانت العمارة الرابطة تجاه عكا قد تعطل
 بعضها من شدة العواصف والانواء ووقع الكلل الكبار التي كانت
 تسقط عليها كالامطار من الابراج والاسوار في النهار فاقلعت بامر
 ابراهيم باشا الى الاسكندرية في آخر كانون الثاني سنة ١٨٣٢
 مسيحية ولما بلغ السلطان محمود خان قدوم ابراهيم باشا الى عربستان
 وافتاحه المدن والبلدان استولى عليه الفيض والغضب وكتب الى
 محمد باشا والي حلب يقول له من جملة الكلام اعلم ايها الوزير
 المهام قد انتهى اليا في هذه الايام محيي ابراهيم باشا بالعساكر
 المصرية لفتح الديار الشامية والاستيلاء على ولاياتها ومدنها وباقي
 ملحقاتها واستولى على اطراف البلاد وانقادت اليه العباد فلذلك قد

اصدرونا الاوامر والمراسيم بجهيز العساكر وارسلها الى تلك الاقاليم
 تحت راية السردار الاكرم حسين باشا الافخم فيجب عليكم ان
 بوصول امرنا هذا اليكم ان تحصنوا القلاع والمعقل وتجمعوا العساكر
 والجحافل وتستخلصوا منه تلك الاساكل قبل قدوم الجيوش المذكورة
 والعساكر المنصورة فلما وصل هذا المنشور الى الوالي المذكور شرع
 في تحصين البلد بالسلاح والعدد وجمع العساكر والجنود وعقد
 الرايات والبنود وسار الى حمص من غير توان في سبعة آلاف
 عنان من الارنؤوط والهوارى والعربان وعند وصوله الى المدينة
 حصن قلاعها بالمدافع والابنية المثينة واقام بفرسانه فيها وعسكر في
 نواحيها منتظراً قدوم العساكر العثمانية ومجيء حسين باشا من
 القسطنطينية وارسل امامه عثمان باشا كامل في اربعة آلاف مقاتل
 بين فارس وراجل لقتال العساكر المصرية واستخلاص المدن
 البحرية فسار بهمة وحمة واستولى على اللاذقية ثم تقدم بعزم
 وثبات الى نواحي طرابلس وتلك الجهات فالتقاء من عساكر مصر
 شذمة نحو خمسمائة نسمة وكان في مقدمتهم الاسد الوهاب الامير
 خليل ابن الامير بشير الشهاب وبعيته مائة بطل عسكر الجبل
 ولما وقعت العين على العين اشتعلت نيران الحرب بين العسكرين
 والتقت الفرسان بالفرسان والاقربان بالاقربان واختلف الضراب
 والطعان وسالت الدماء على اديم الصحصحن واخذ حده السيف

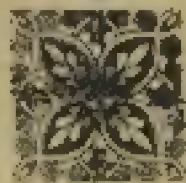
والسنان ولم تكن الا ساحة من الزمان حتى تضرعت من عثمان
 الاركان فولى الانذار واستنجد بالفرار ورجع بمن معه من الفرسان
 والانصار الى قلعة الحصن وبلاذ عكار وهو في حالة التل والانكسار
 وحينما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر ومجيء محمد باشا الى حصن بذلك
 العسكر وهو اذ ذاك محاصر عكا الحصينة وقد كان ان يفتحها
 ويجهده اسوارها المتينة تجهز من يومه وسار في اربعة الاف فارس
 كزار قاصدا تلك الديار وترك عكا تحت الحصار ثم عجل في
 السير وابق بسيره الطير فادرك عثمان باشا في ارض الزراعة
 بقرب القصير وكان محمد باشا قد امده بالمهمات والذخائر و اضاف
 اليه فرقة من العساكر فملوشه الحرب وبادره بالطلعن وانضرب
 فقره وكمره وفرق جيشه وعسكره وفر عثمان باشا من ساحة
 المعركة وترك الذخائر والمهمات والامثلة ورجأ الى حصن بمن سلم
 من جنده معه بعد ما قتل من عسكره نحو الف قتيل ومن المصريين
 نفر قليل ثم رجع ابراهيم باشا على الاثر بعد ما غلب وقهر وفاز
 وانتصر وغنم واسر وبلغ المقصد والوطر واتي دير القمر وترك فيها
 اثما وخسائنة نفر من شجعان العسكر وعاد الى عكا بعد ذلك الانتصار
 وسدد عليها الحصار وكان قد ارسل عباس باشا الى بعلبك في
 اليوم الخامس عشر من نيسان واتبعه بالايين من الفرسان ليقم
 محافظا في ذلك المكان

وكانت لأبراهيم باشا في حصار عكا مواقف شريفة ومشاهد
 مذهشة عجيبه تدل على شدة بأسه وشجاعته وحسن تدربه في
 أبواب الحرب وبراعته فمن ذلك ما حدثني به بعض الأعيان في
 عربستان فمن كان في خدمته ومقدمات بين رجال دولته فالخرج
 إبراهيم باشا ذات يوم في جماعة من قواده منفرداً عن عسكره
 واجناده وقصد مكاناً يبعد عن المدينة نحو نصف ساعة وكنت
 أنا من جملة الجماعة ولما انتهينا إلى ذلك المكان نزل عن ظهر الحصان
 وجلس على الرمل متكئاً على ركبتيه فقلنا نحن أيضاً ومثلنا وقوفاً
 بين يديه فالتزم النظارة وكشف المدينة وشاهد أسوارها المتينة
 وأبراجها وقلاعها الحصينة قال صاحبي فما كان إلا كلمة بصر
 حتى تبدل صفونا بالكبر من وقع الكلال الكبار التي كانت
 تسقط حولنا كالامطار من الأبراج والأسوار تخفت من عواقب
 الأمور ولت نفسي على الحضور وعلمت أن الأعداء أبصرونا ووجهوا
 منافعهم نحونا ليهاكونا فقلت له وقد ضاع فكري وحرت في
 أمري أدام الله أيامك ونصر أعلامك ومكن من رقب الأعداء
 حسامك أن مجيئنا إلى هنا كان غلطاً وجليساً في هذه الأرض
 خطر عظيم وخطأ فقم بنا للذهاب قبل أن يمسن المطب لأن
 قلبي قد انصدع من شدة الخوف والفرع فلهذا أدرك من شجاع
 وسع لا يقاس بالسباع فقد عاشرت الأبطال والفرسان

وسمعت باخبار صناديد الزمان فما سمعت بمثلك بين الشجعان ولكن
ايها السيد الجليل لا يخفى عليك ما قيل

ليس المخاطر محموداً ولو سلما

فتبسم ضاحكاً من مقالتي ولم يحجني على سوالي وكان قد امر
بعض الخدم ان ياتيه بكبش مشوي من الغنم فامتثل ما امر
وفعل كما ذكر وما زلت اكرر عليه الكلام واطلب منه الاذن
في ذلك المقام الى ان جاء الغلام بسفرة الطعام فعند ذلك التفتي
من يده النظاره وهو مظهر الشجاعة والجساره والتفت الي وتبسم
وامرني انت اتقدم فتقدمت على عجل وانا في خوف ووجل
من اصوات المدافع ووقوع الكلل واذا بكلمة سقطت امامي كادت
تسقينني حملي تخفق قلبي وزاد خوفي ورعبي فنهضت من مكاني
مرتمشاً حائراً مندهشاً كل ذلك وهو جالس كأنه الليث العابس
غير مبال بهذه الحال ولا خطر له خوف ببال من جميع هذه
الاحوال وبعد ان اكل وشرب دعا بجواده فركب وركبنا نحن
ايضاً وتبعناه وانا لا اصدق بالنجاة حتى بعدنا عن العدو وصرنا
في ساحة الامان والهدوء فحجبت من جسارته على الاهوال والنوائب
وعدم اكتراته بالاعطال والمصائب



الباب الخامس

في فتح مدينة عكا الحصينة وهدم أبراجها وقلاعها المشينة
وكانت الحرب على عكا قائمة والمدافع على أبراجها متصلة دائماً
حتى هدم أكثر حصونها وأسوارها وسقط روتق مجدها ونغارها من
وقوع القلل والقنابل وهجوم الأبطال والجحافل وكانت سكان
البلد من الشيخ إلى الولد في خوف واحتساب وقلق واضطراب
من سقوط الكلل البارود فكانوا يستترون تحت العقود واستمر القتال على
هذا المنوال مدة سبعة أشهر بلا انقطاع ولا فتور وكان المصريون
في أثناء الحصار يحفرون حفرًا تحت أرض أساسات الأسوار
ويضعون فيها البارود ويضرمونها بالنار فتهدم ما فوقها من البنيان
وتسحق المدافع وتقتل الفرسان ولما كان يوم الجمعة الموافق ٢٦
من ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هجرية صمم إبراهيم باشا النية لقيام
هجمة قوية لينتهي الحال وتكون واقعة الانفصال فجمع أركان
جربه إليه وأخبرهم بما قد عول عليه وأعطاهم الأوامر والإشارات
اللازمة المتعلقة بكل واحد منهم في تلك المهاجمة وعين لها اليوم
الثاني من ذلك النهار وهو السابع والعشرون من ذي الحجة والثامن
والعشرون من أيار ولكن لما كان هذا الدستور الأكرم لا يجب سفك الدم
أرسل إلى محمد الله باشا قائداً من العمدة يطلب إليه أخيراً أن
يسلم البلد قبل أن تفوته فرصة الأمان ويقع في قبضة الأسر والمهوان

والله غير مملك عن هذا الشأن ولو تحزبت عليه جبايرة الارض
 ومردة الجان فلم يلتفت عبد الله باننا الى هذا التحذير والتنذير
 وعنده من باب الخوف والتقصير وقال للقائد المذكور ان مدة
 الحصار لم تتجاوز بعد خمسة شهور والمدينة بحمد الواحد الاحد
 مشحونة بالسلاح والعدد وفيها من الجيوش والمخاض والمخوفات
 ما يكفيها خمس سنوات متى جاء الوقت المعهود وفرغ الزاد والبارود
 وانقطع عما الامداد والاسعاف ننظر حيث في انتهاء هذا الخلاف
 فلما جاء القائد الى مولاه وبلغه جواب عبد الله تعجب من وقاحته
 وحار وامر باطلاق المدافع على الحصون والاسوار فاطلقت طول
 ذلك الليل وانصبت على البلد كما رضى السيل ولما كان الصباح
 تاهب المسكر بالهجوم والكفاح فقرعت الطبول ولعت النصول
 وخفقت الرايات ونفخ النير وانقسمت الااليات الى فرق وطوائر
 وسارت المساكن كالاسود الكواكب بحسب صدور الاوامر طالبة
 القلاع والابرار بدون خوف ولا انزعاج وفي مقدمتها هاتم السعد
 والاقبال ينشد قول من قال

هيا بنا هيا بنا	للحرب تلقى ضدنا
نحن الاسود الكاسر	نحن السيوف الباهرة
من ارض مصر القاهرة	سرتنا وقد فلانا المنى
هيا بنا هيا بنا	للحرب تلقى ضدنا

نحن الجهاديون لا نخشى غاراتاً إلا
ولم نذق في البلا صبراً إذا الموت دنا
هيا بنا هيا بنا للحرب نأق صدقنا
بارودنا شراره بشوي العجوة ناره
وسيفنا بتاره من الهدا تمكنا

ولم تكن إلا سائمة من النهار حتى اشرقوا على الآوار واندفقوا
عليها كالبحار وكان اول من همم بأمر ابراهيم طابور من الالاي العاشر
على برج كرم الكائن في الجهة الغربية من الاسوار الشمالية ثم
اتبعه على الابر ثلاثة دواوير اخر تحت قيادة الشجاع الشهيد ابراهيم
باشا الصغير وهو والد جناب حيدر باشا وخليد يكن اصحاب اخاف
الجيل والصيت الحسن وانصفوا بحملاتهم اسرع من البرق على الابر
الكائنة تجاه الشرق وكانت اكثر هذه المواضع مشقة بكل الدافع
واما عند الاساد وسيف الجهاد وقائد القواد فكان سائراً على اثر
العساكر وبعيته طابوران من الالاي الخامس والعالم وكان يحول
على ظهر جواده بين الصفوف وفرسانه واجناده تموج وهو بشجعهم
بالكلام وينشطهم على الهجوم والاقترحام ويعدم بالكلمات والانعام
فلاهم درهم من فرسان وابطال ما اشد هم في الحرب والقتال واثبتهم
في ميدان القتال على المخاطر والاهوال وكان الرصاص يتناثر عليهم
كالبرد من الابر ومطاريس البلد وهم ثابتون ثابت الجبابرة

او الاسود الكاسر غير مباين بالخطر طمعا بالنصر والظفر والريغ
 القصد والوطر بل كانوا يهجمون على الاسوار والحصون بهمهم وعزائم
 امضى من الصوارم وينصبون عليها السلام ويتسلقون فوقها كالضراغم
 وهذا ولم ينتصف النهار حتى تمكنوا بالقوة والاقتدار على اكثر
 الحصون والاسوار ونشروا عليها ياروق الانتصار فاستولى الطابور
 الثاني على المراكز والمباني التي في الناحية الشرقية المتصلة باطراف
 الاسوار الشمالية واستولى الطابور السادس من الالاي الخامس على
 جميع الصوامع التي في جهة النبي صالح وهكذا استولى الالاي الاحتمالي
 على المتاريس الواقعة بقرب الشاطئ فلما رأى عبد الله باشا ذلك
 الهول العظيم والخطب الجسيم ندم على عدم الطاعة والتسليم وعلم
 ان نجمه قد سقط وعقد عزه انحل وانقرط وانه عما قريب
 يومخذ اسيرا ويقاد امام عدوه ذليلاً حقيراً بعد ان كان والياً
 ومشيراً ولكنه اظهر الصبر والجلد وسار بالعسكر الى خارج البلد
 بقصد المدافعة والممانعة وسد الهجمات المتتابعة تخاض ساحة المعركة
 وجرت بينهم وقعة مهلكة قتل فيها من قواد المصريين وابطالها
 المشهورين الشجاع المقدام اسماعيل بك القائم مقام وموت هذا
 الاسد الغضنفر ارتد جيش المصريين وتاخر وضعفت عزيمته وثقفر
 فلما رأى ابراهيم باشا ان العسكر قد امسى في ارتباك وخطر
 خشي من الهزيمة والانكسار بعد ذلك الفوز والاستظهار فتقدم

نحو جنوده بحرسه وهو راكب على ظهر فرسه وجعل يحرضهم على
 الثبات والجهاد ويحثهم على الصبر والجلاد ويقول هذا يوم الافتخار
 هذا يوم بلوغ الاوطار فكانوا ثائرة يتقدمون وثائرة يتأخرون فعند
 ذلك استل سيفه من غمده وانطلق بالجملة امام جنده واقامهم
 مواكب الاعداء كانه اسد البيداء فشق الصفوف والكثائب
 واظهر بشجاعته العجائب فشجعت عزيمة العسكر بهيبة هذا الهمام
 الظافر واخصام البازر وداخلتهم الحماسة والفتوة وكروا على اعدائهم
 بنشاط وقوة فسدوا عليهم الطيق والمضائق والهجوم بضرب
 السيوف والبنادق فازاحوهم الى ما وراء الخنادق ثم قويت عزيمة
 المحصورين وانطلقوا بالجملة على المحاصرين وحينئذ اخلاطت الرجال
 بالرجال والابطال بالابطال والنعم القتال واتسع المجال وعالت
 الاهوال وجرى الدم وسال وتمكنت الصوارم في الرقاب والجمام
 والحرايب والخناجر في الصدور واخواصر وكان يوماً من اعظم
 الايام وساعة يشيب من هولها رأس الغلام لان الدماء كانت
 تسيل كالطر والجثث تساقط على الارض كالوراق الشجر والسهول
 والثلال تهتز من ضجيج الرجال واصوات المدافع التي تزعزع الجبال
 حتى خيل للنظار في ذلك النهار ان الساعة اقتربت والارض
 ارتجت واضطربت والسماء غابت واحتجبت والمدينة احترقت
 واتقلبت ولقد احسن النقال وصدق من وصف عكافي ذلك اليوم

وقال

قد قيل ان جهنماً تحت الثرى ما لي اراها فوق عكة نضرم
لوم تكن دار الشقاوة عكة ما اضرمتها بالشرار جهنم
واستمرت تلك المعارك والمهاجمة المتداركة من الصباح الى
بعد العصر حتى هبت ريح النصر وكانت قد كلت جموع عبدالله
باشا والفحل عزم نشاطها وتلاشى وعجزت عن حماية البلد ولم يعد
لها ادنى ثبات ولا جلد فالتقوا سلاحهم وسلموا ارواحهم خوفاً من
حلول البوار ونزول الدمار وطلبوا لانفسهم الامان واختاروا
الاسر والهوان وانصبت العساكر المصرية كالسباع واندفعوا على
البلد اشد اندفاع بقلوب لا تخشى الموت ولا ترقاد وتسلموا باقي
الابرار والقلع واستولوا على مدينة عكا عنوة وقهراً بعد حصار
سبعة اشهر براً وبحراً وتسلم ابراهيم باشا زمام تدبيرها وقبض على
عبدالله باشا وزيرها والقائد تحت الحفظ والترسيم بعد ما وبخه
على فعله الذميمة وسلوكه الغير المستقيم وفي اليوم الثاني وهو يوم
الاحد نزل في قصر البهجة خارج البلد وهو احد القصور المختص
بعبدالله باشا المذكور ولما استقر في ذلك المكان خرج اليه الاكابر
والاعيان وطلبوا منه الامان فاجابهم الى ذلك الشان وعاملهم باللطف
والاحسان ثم امر بكتابة الاوامر والمراسيم الى ولاة المدن والاقاليم
يعلمهم بذلك الفتح والنصر وانه استولى على عكا بالقوة والقهر

فكتبت في الميرن وارسلت الى الولاة والمحافظين وهذه صورتها

بعد السلام عليكم المني ان نهار امس عند طلوع الشمس
زحفت عساكرنا المصرية الشافرة بالقوة والسطوة القهرة واندفعوا
على مدينة عكا اندفاع الاسود الكاسر وبادروها بالمهاجمة واقتحموها
بالمصادمة والمقاومة الى ان فتحوها بقوة الحرب والنار الدائمة وصعدوا
اسوارها الرفيعة ووطئوا اراجيح النيعه وغدت عساكر الاعداء
مقهورة امام عساكرنا المنصوره ولما تضعفت منهم الاركان ورأوا
ما جرى وكان رفعوا الرايات وطلبوا الامان فاجبناهم الى سوالهم
وبلغناهم غاية آمالهم وعاملناهم بالرفق والاحسان شفقة على الاهالي
والسكان ورأفة بالبنات والنسوان والاطفال والصبيان واخرجنا
عبد الله باشا وكتخداء وقواد عسكره وزعماء واستولينا على عكا
قهرآ بأذن الله ولاجل اعلان هذه البشري حررنا لكم هذا المنشور
من ديوان عسكرنا المنصور لتعلموا مضمونه بالشكك والسرور
وتواظبوا تأدية الدعوات الخيرية الى حضرة باري البريه بدوام
بقاء سعادة ولي العرشنا والدنا المعظم

حرر في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هجرية الختم
سلام على
ابراهيم

وبعد ذلك استدعى بعبد الله باشا فحضر بين يديه وسلم عليه
واعتذر اليه وتصور الموت نصب عينيه فلاحظه وطيب قلبه ومكن
روعه ورعبه واجلسه بالقرب من حضرته وقابله بما يليق بحشمته
ثم أرسل الى ابيه اسيراً ذليلاً حقيراً وعند دخوله عليه وقع على
قدميه مانحاً منه الرضى والعفو عما مضى فلما رأى حاله صفع
عنه ورثى له وانزله في احسن السرايات واجرى عليه ما يلزمه
من اللائف والمنفقات فتباشرت الناس بزوال ايامه وسرت بانقراض
احكامه

الباب السادس

في مسير ابراهيم باشا البطل الهمام بليوث الاجام وفرسان
الصدام لافتتاح مدينة دمشق الشام

وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العلية والصولة الخيبرية
قد بقي في نفسه شيء من حرب القصير على ما مر ذكره فأنثر
ذلك عنده تأثيرات ما زال يختلج بها صدره اذ لم يكن في
قصده الاعتدال على حقوق الدولة العلية ولا الاستيلاء على سوريه
وانما كان جل قصده الانتقام من عبد الله باشا المذكور لما كان
بينه وبين حضرة الخديوي من الخلاف والتفوق فما لبثت الدولة
ان بادته بالشر والقتال على ما سول لها سوء الظن به واختلاف

الاقوال فاضطر الى المدافعة عن نفسه ودفع الرجال بالرجال ثم
 لما تمادى الامر على الشقاق واصرت الدولة على عدم الوفاق لم
 يجد بدا من طرح دعامها وانبات على حربيها وصدامها فلما فرغ
 من حرب عكا كما تقدم الكلام تجهز لاختد مدينة دمشق الشام
 ونهض في سبعة آلاف بطل همام وسار معه الامير بشير حاكم
 لبنان في الف وخمسمائة عنان فوصل اليها في اليوم الخامس عشر
 من شهر حزيران سنة ١٢٤٨ هجرية الموافقة لسنة ١٨٣٢
 مسيحية وكان الوالي يومئذ على البلد رجلاً يقال له علي باشا
 الاسعد فلما بلغه قدوم هذا الاسد اضطرب فواءده وارتعد فاستعد
 للقاء وخرج بالعساكر للالتقاء فالتقاء المصريين بقلوب كالجبال
 واشتبك بينهم القتال ولم تكن الا جولة حتى انكسر عسكر الدولة
 فولى وطلب الهرب وتفرق جمعه وانقلب واغتم علي باشا الهزيمة
 فتجا بنفسه الى حصص في حالة ذميمة ولم تدفعه همة ولا عزيمة
 وبلغ ابراهيم باشا بيأسه الشديد ما كان يشتهي ويريد ودخل
 الى البلد بالنصر والتأييد فامتلكها ونزل في دار السرايا وانقادت
 لامره جميع الرعايا فعامل الناس بلطفه المعهود واستمال نفوسهم اليه
 بالعدل والجود فاستارت بقدمه المدينة وتزينت اسواقها بأحسن
 الزينة وصفقت طرباً انهارها السبعة واصبحت جبهتها بتشريفه
 مباركة الطلعة

حاكت علاه بدور الافق وابتهجت
 فيه الاهالي وقد قرت به نظرا
 وزاد حسن دمشق الشام واكنسبت
 نغراً بمقامه اذ جاء منتصرا
 رصفت طرباً انهارها وغدا
 داعي الشفائي بها يعتز مفتخرا

الباب السابع

في خروج حسين باشا من القسطنطينية بالجيوش السلطانية
 والمهمات الحربية لمحاربة العساكر المصرية ووصوله الى عربستان
 وانهزامه في واقعة حمص وبيلان
 وكانت الدولة العلية لما بلغها قدوم ابراهيم باشا الى سوريا
 وفتتاحه الاساكل البحرية عينت حسين باشا الردار الاكرم الذي
 سبق ذكره فيما تقدم وارسلته من القسطنطينية بالعساكر والمهمات
 الحربية لقتال الجيوش المصرية واخراجها من الديار الشاميه
 فسار بهمة وحميه وبمعيته ستون الف مقاتل بين فارس وراجل
 منها خمسة واربعون الفا من العساكر المنتظمه وخمسة عشر الفا
 من الاتباع والخدمة ومعه المدافع نحو مئة وستين وبمعيته جماعة

من ضباط الاروبيين هذا ما عدا العساكر الاحتياطية التي حضرت
 من ازمير بالعمارة الحربية وعسكرت في شطوط القرماني حتى اذا
 دعت الحاجة تاتي الى عربستان وكان حسين باشا المرقوم عند وصوله
 الى انطاكية وتلك التخموم ارسل امامه طليعة من العساكر الى حصص
 بالمهمات والذخائر تحت قيادة الباشا المغوار محمد باشا البيروقدار
 وعند وصوله اليها عسكر بجنده حوالها واجتمع بمن هناك من
 باشاوات الاتراك الذين كانوا بالانتظار لذلك الجيش الجرار واعلمهم
 بقدموم السردار الى تلك الديار وبمعيته العساكر الظافرة والجيش
 المتكاثرة فانشرحت صدورهم واشتدت ظهورهم لانهم كانوا في
 خوف عظيم من حرب ابراهيم ولما بلغ ابراهيم باشا القائد العام
 وصول هذا الجيش وهو في دمشق الشام استعد لاستقباله وحربه
 وقتاله وتفرق رجاله وابطله فجهز المهمات والمدافع ورتب الكتاب
 والطلائع وكتب الى عباس باشا في الحال يامره ان يقوم من
 بعلبك بالعساكر والابطال ويجد في السير ويوافيه الى قرية القصير
 وكتب ايضاً الى طرابلس الشام يامر حسن بك المنسطري بسرعة
 القيام وان يلاقيه بباقي الجنود الى المكان المجهود ثم سار هو على
 الاثر بمن معه من العسكر قاصداً تلك الكورة فوصل اليها في سابع
 تموز من السنة المذكورة فالتقى بهما في ذلك المكان وبمعيتهما الرجال
 والفرسان فاخذوا يتفاوضون ويتذاكرون على ما هم عليه عاجزون

وعلى ينتظرون الاعداء في تلك اليداء ام يبادرون اليهم قبل ان
 يشرفوا عليهم فاستقر الرأي على السير قبل وصول العدو الى القصير
 وكان بينهم وبين حمص نصف مرحلة فبانوا في تلك المنزلة ولما
 أصبح الصباح وسطع نوره ولاح اصطفت المواكب وترتبت
 الكنايب وانتشرت البيارق ونفخ الفير وجمدت العساكر بالسير
 قاصدة حمص بدون تاخير وكان محمد باشا والي حلب ومن معه
 من الباشاوات وذوي المناصب والرتب لما بلغهم قنوم ابراهيم باشا
 اليهم وانه عما قريب يشرف عليهم تأهبوا للحرب واستعدوا للعلمن
 والضرب ولما اقترب المصريون من المارينة ولاحت لهم عن بعد
 قلاعها الحصينة ابصروا جيوش الاعداء تتوج في تلك السهول
 والمروج فاصدر ابراهيم باشا الاوامر بترتيب صفوف العساكر وسرعة
 الاستعداد للحرب والجلاد فاصطفت وترتبت واستعدت وتاهبت
 وتقدمت فرقة من العرب الهادي نحو عسكر الاعادي فالتقت
 مع طليعة الانراك واخذت معها في الصدام والهلاك فاستظهرت
 عليها غاية الاستظهار وقتلت منها جملة انصار ثم انكشفت الاعلام
 والبنود وظهرت العساكر والجنود وهي مقبلة للقتال على قدم
 الاستعجال وكانت طوابيرها منقسمة الى اربعة صفوف منتظمة
 ومربعة على هيئة حسنة بين قلب وميسره ويمينه اما القلب فكان مواجها
 من امام لطريق دمشق الشام واما الميمنة فكانت منتشرة في ذلك البر

الاقصر ومحاذية لنهر العاصي من الجانب الايسر ولما اليسر فكانت
 مستندة لمزرعة على مسافة قريبة من النهر المذكور لتمنع الأعداء
 عن الهجوم والعبور وكلها ثلاثون الفاً من عساكر قتالهم وارتباط
 وهوارا ودالايه ومعها اربعمون مدفعا مضطربا اشتهروا بين الناس بالشجاعة
 وقوة البأس كمحمد باشا البيرقدار وباباكر باشا الخزندار ومحمد باشا والي
 حلب وغيرهم واما المعسكر المصير به فكانت موءلفة من عشر من الفأوار بعدة
 واربعين مدفعا من اجرام مختلفة ومنسمة الى ثلاثة اقسام على احسن
 ترتيب وكل نظام : وكان القسم الاول في مقدمة الجحفل وهو
 موءلف من الالاي الثاني عشر والثالث عشر والثامن عشر من
 الرحلة ومستند من اليمين واليسار بالالاي الخامس والحادي عشر
 من المشاة ومستنداً من اليمين واليسار على نحو مائة خطوة بالالاي
 الرابع والسابع من الملاحية ذوي البسالة والبطولة واما القسم
 الثالث فكان جيش الاحتياط وهو موءلف من الالاي الثامن
 المشاة ومستند من اليمين واليسار بالالاي الثالث من الرحلة
 ذوي الثبات والنشاط وعلى جناح هذا القسم من اليمين
 واشمال كانت عساكر الجبل مهيئة للقتال ولما ادانى العسكران
 وتقابل الجمعان امر ابراهيم بابا فارس الميدان الالاي الثاني
 والثالث والرابع من الفرسان ان يبرزوا الى ساحة الميقات
 ويهاجموا الجانب الايسر من عسكر الأعداء بحيث تعطل زورهم

الحرب من التين واليسار والقلب فلبوا امره بالطوع والامتنال وساروا
 في عاجل الحال قاصدين اعدائهم قلوب كالجبال وعند وصولهم اليهم
 هجموا عليهم وصدموهم بقلوب اقوى من الحديد واقسى من الجلاميد
 واطلقوا عليهم البواريز ثم اقتحموا صفوفهم واخترطوا سيوفهم
 وحكموها في ايديهم فزحزحوهم عن مكائهم فلما رات عساكر
 الاتراك المقيدين بالقرب من هناك ما اصاب اصحابها من البلية
 بانارت بهمة وحجة لمهاجمة العساكر المصرية فالتقاهما المصريون في
 الحال وصدموهم حدة زرع الجبال واشتعلت بينهم نيران الحرب
 وانضاف الطعن والضرب واشتد ابلاء والكرب وهان كل امر
 صعب وعند ما شاهد ابراهيم باشا تلك الحركة وهو بالقرب من
 ساحة المعركة امر احد فواد العسكر ان يسير بانف فارس على الاثر
 ويقصد ذلك المكان المعهود ليعضد من له فيه من الجنود واستنده
 من التين بصف من الشوبخانه ومن اليسار بالالاي الثاني عشر
 من المشاة وبفرقتين من الششخانه فامتثل وسار كالسهم الطيار
 وعند وصوله الى هناك انقضت على صفوف الاتراك واخذ معها
 في الشباك والعراك ثم تقدم باقي الجيوش المصرية حتى اقتربوا
 من العساكر العتازة ونفصل الالاي الحادي عشر من مشاة العسكر
 وانضم الى الالاي السادس والسابع من الفرسان وقصدوا مينة
 اعدو من غير هدو ولا توان فمبروا النهر عند العصر وانتشروا على

شأطته الايسر غير مبالين بالخطر املاً بالنصر والمظفر وبلوغ التصد
والوטר ولما رأى محمد باشا تلك الهجمة متجهة نحو جناحه الايمن
عزم على دفعها وملافاة الامر باتي هي احسن فامر احد القواد
ان يتقدم بظابورين من الاجناد ويهاجم عسكر المصريين من
جانب اليمين فيبادر بالهجوم وانعطف نحوهم وحمل فالتفت المصريين
من جهة اليسرى واقاموا عليه القيامة الكبرى وكان قائد هذه
الواقعة وموقد نار تلك المعركة البطل الهام وليث الوغى في معارك
الصدام من تتدد به جيوش العدى وتلاشى ابرهيم باشا فبذل
بشدة عزمه المجهود وقوى بهجته قلوب الجنود لعله بان امر
النصر متوقف عليه وتديز الحرب راجع اليه فله دره من اسد
كرار وبطل قهار فانه سطا سطوة جبار والقي نفسه في مواقف
الاخطار وفعل فعلاً تدهش الابصار وتحير العقول والافكار فلو
راه الاسكندر و ابو الفوارس عنتر في ذلك اليوم المنكر وهو
يخوض معركة القتال من اليمين والشمال ويبري بحسامه جماجم
الابطال تعلم منه فنون الحرب ومواقعة الطعن والضرب ابوزيد
الحيل وعامر ابن الطفيل لاندعلا واندعشا وخافا وارتعشا وقبل
رجله في الركاب وذلا بعد ما خضعت لها الروموس والرقاب
قرم تذيب العدى رعباً مهابة اذا انتضى يوم حرب صارماً ذكراً
قاد المنايا له جيشاً وكر على جيوش الاعادي بطعن يسبق القدر

وما زالوا في قتال واستناك حتى نزعزت فرقة الاتراك من
حول الصدام وشدة العراك فنكصت الى الوراء وطلبت جوانب
الصحراء فلما رأى محمد باشا تلك العير وان ذلك القائد قد انكسر
خاف من الهزيمة التي عاقبتها ذممه فامر محمد باشا الكريدلي وكان
من النجمان ان يقدم بالالايين من الفرسان ويقنعهم مواكب الاعداء
من الجانب الايسر بينما يهجم هو عليهم بقلب العسكر من الطرف
الاخر ويأخذونهم من الجانبين ويحصرهم بين الامرين فامتثل ما
امر وحمل هو وباقي الزمر فاندرك ابراهيم باشا بفراسته وذكاؤه
حركة جيش اعدائه لانه كان حريص الا انراك صادق النظر يهرم
الراي بسرعة تحاكي لمح البصر ولما علم ذلك حول هيئة المعركة
على الصورة الموافقة لدفع تلك الحركة فارسل فرقة مع حسن
بك المسطري لمقابلة محمد باشا الكريدلي وانما كان هو وباقي العسكر
على جدي محمد باشا القائد الاكبر وفي الحال السحيم القتال واتسع
بين الفريقين المجال والرياح السهول والشلال من ضجيج الابطال
واصوات البارود التي كانت رزعزع الجبال فكانت ساعة
تقشع منها الجلود وتشيب من هولها الاطفال في الهود زلزلت
الارض فيها زلاها وظهريت القيامة امواها وابصرت الابطال
ما راعها وشالها في كنت ترى الا فرسانا مشتبهة وصفوفا محتبكه
ونماء منسفكه وخيولا ذائره واعضاء متناثرة وروءى طائره

وما زالت المكائنة بينهم قائمه ونار البارود متصله دائمه نحو اربع
ساعات من النهار وهم في قتال شديد من طيب النار وكانت قد
كثرت جموع محمد باشا واختل عزمها وتلاشى وزادها الخوف رعباً
وارتعاشاً فقهقرت فرسانها وتزعزعت واختل عقد نظامها وتضمضت
ويشتت من بلوغ الارب وايدت بالهلاك والعطب ونفي فوق
رومها ناعي الزيل والخرب فلم يمهـ يمكنها الاستمرار ولم تجد سبيلاً
لها الا الفرار فالتقت راياتها وبيارقها ونكست اعلامها وسانجتها
وانهزمت على اعقابها وتركزت جميع ذخائرها واسلحتها وتفرقت في
عرض القلاويش لا تصدق بالنجاة خوفاً مما اصابها ودهاها وقد
تخضعت الارض برماها وامثالات بحيث قلاها وتبعها المصريون
على الاثر وكلهم تنساقط في اقصيتها ظالمطرا وكان قد قتل منها
على ما قيل نون من اربعة آلاف قتيل ومن المصريين نحو
خمسة ائنه وخمسين وونى محمد باشا هارباً وانجاة طالبا قاصداً مدينة
حلب الشهباء وتبعه اكثر القواد والوزراء ما عدا محمد باشا اليرقدار
فانه ولى الادبار وفر طالبا حسين باشا السردار ليعلمه بتلك
الكسره ويطلب منه النجدة والنصره وهو لا يصدق بالنجاة خوفاً
مما دهاه من شدة ما حصل عنده من الحول العظيم كان كثيراً
ما يلفظ وراءه خوفاً من هجوم الغريم ويقول هي كدى اعلان
ابراهيم واستحوذ ابراهيم باشا على مهابته وذخائره وفرق غائمه على

ضباطه وعساكره واستولى على حصص وحماه واقام فيهما الحكم
والولاية وكان قد وقع في يده القنان من الاسارى بين عساكر
نظاميه وارناوط وحوارى فاعطاهم الامان وعاملهم بالرفق والاحسان
وادخلهم بين جنوده المصرية وعين لكل واحد منهم جامكياً
وكتب الى ابيه بمصر يخبره بهذا النصر وكان حسين باشا السردار
الاكرم قد خرج من انطاكية بالجيش العرمرم طالباً حصص
وحماه وهو يجد في قطع القلاع وفي اثناء الطريق بلغته تلك الاخبار
وما حل بعسكره من الويل والدمار فزاد به الغيظ والحقد واضطرب
فرواده وخفق وتأسف على ما جرى وارتد راجعاً الى الورى
ليجمع شمل العساكر القادمة ويأخذ لنفسه الاحتياطات اللازمة
وما زالت العساكر في انكسارها ساعيه وراء وزيرها وسردارها
وفي مقدمتها محمد باشا البيرقدار وهو لا يعرف الليل من النهار
حتى التقى بحسين باشا المشار اليه فتقدم وسلم عليه ومثل بين
يديه وحدثه بذلك الخبر وما حكم به قلم القضاء والقدر من انكسار
جنوده وتنكيس اعلامه وبؤوده فظهرت على وجهه علامات الغضب
وارتبك في امره واضطرب ومن شدة ما اعتراه رفسه برجله فأتقاه
على قفاه بعد ان شتمه واهانه ونزع عنه سيفه ونيشانه ثم طرده
من امامه ووكّل به بعض خدامه نخرج من بين يديه وهو ينفذ
غبارات الموت عن مكبيه وحسب تلك الاهانة سعادة له وافتخاراً

لانه كان قد شاهد المنية جهارا وما زال حسين باشا يقطع اليه
 وهو في غبط شديد وغم ما عليه مزيد حتى وصل الى جسر
 الحديد وهو مكان واسع الجنبات يبعد عن انطاكية اربع ساعات
 وهناك شمر سائر العزيمة وجمع ما تشتت من جنوده بعد تلك
 الهزيمة ثم تجهز وارتحل وسار على عجل قاصدا ما بين حلب وبي
 قلبه حر المهب من شدة الغيظ والغضب فالتقى بواليتها قرب المدينة
 وهو في حالة حزينه فاعلمه محمد باشا بواقعة الحال وما اصابه
 عسكره من النكال فازداد حنقا على حنق وقلقا على قلق وبعد
 وصوله الى حلب الشهباء عند مجلسا حرييا مع الايمان والعلماء
 وبعد جلسة طويلة ومذاكرة مستطيلة طلب منهم ان يدوروا بالمدافع
 والعدد ويقدموا له عسكرا من ابناء البلد فلم يوافقوه على ذلك
 من المشايخ واكابر العدد لان نفوسهم كانت غير مائلة اليه ولا
 موعدة حصول النصر على يديه بل كانوا يحاولون الخروج من
 قبضة الدولة العلية والدخول تحت طاعة الحكومة الخديوية فلما
 بش من التجدد والمعونة عزه على السير الى الاسكندرية ليقوم
 فيها الحواجز والقلاع ويجعلها حصن الوقاية والدفاع نفارا لحسن
 مراكرها الطبيعية ولكونها من الاسا كل البحرية ومما يستحق الاعتبار
 ان هذا السردار كان قد اجتمع مع قنصل فرانس في ذلك النهار
 فاخذ يجادلته بالكلام ويسأله عن حواصل بر الشام وعن احوال

الحرير والمنسوجة والشعير وغير ذلك من المسائل التي ليس تحتها
 طائل وبعد ان تناول معه الطعام خرج الى المضارب والخيام وبات
 تلك الليلة في المعسكر وهو في خوف وحذر وقلق ومخبر وعند
 طلوع النهار بالته الاخبار بقرب وصول تلك الجبار والليث
 الباسل القهار ابراهيم باشا فارس اعقطار الى تلك الديار تخفق
 قلبه وخاف ولم يدركه الا الانصراف والرحيل من تلك الاطراف
 فقسم جيشه الى قسمين وارسله الى الاسكندرونه على طريقين
 الاول سار على طريق كلس وبيلان وسار هو في الثاني بباقي
 الجيش والفرسان قاصداً تلك الاحياء على طريق انطاكية وتبعه
 والي حلب ووالي دمشق الشام وجميع الباشوات الفخام وعند
 وصوله الى الاسكندرونه اقام فيها وخيم بجيوشه في نواحيها هذا
 ما كان من امر السردار الاكرم ولما ابراهيم باشا الاسد الغشمشم
 فانه بعد ان انتصر وطلب وبلغ من عدوه القصد والارب سار
 طالباً مدينة حلب على طريق تل السلطان فمرة النعمان وكان
 وصوله اليها بانسكرك في اليوم الثامن عشر من شهر صفر
 سنة ١٢٤٨ هجرية الموافقة لسبعة عشر تموز سنة ١٨٣٢
 مسجيه وذلك بعد خروجه حسين من المدينة بيومين فاستقبله
 اهله بالترحيب والتخيم ودخلها بمركب عظيم وكان اول من ورد
 اليه بالتهنئة والسلام فواصل الدول العظام ثم جاء القاضي

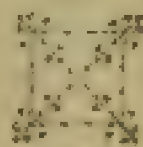
والمفتي واعيان البلد وباقي الوجوه والعلماء قد دخلوا وسلموا عليه وانفوا
دفة امورهم بين يديه فاعطاهم الامن وعاملهم بالحلم والرفق واحسن
اليهم كما احسن الى اهل دمشق وفي ايام قلائل وردت اليه الكتب
والرسائل من ولاية الاقطار وحكام المدن والامصار التي في ذلك
الجوار يهنئونه بذلك الانتصار ويأتسون من حضرته الدخول في
حج دونه فشكروهم على ذلك الكلام وبلغهم غاية القصد والمرام
وبعد ان نظم احكام المدينة على احسن الاساليب المثبتة واذعنت
لطاقته جميع الولايات الكائنة في تلك الجهات كديار بكر ونواحيها
واورفا وما يليها نصب بها الولاة والمسلمين من خواص قواده
المشهورين لتقوم باشغالها وتدير ائمتها ثم تجهز للارتحال ونهض
بالرجال والابطال للقاء حسين باننا وقتاله مستعيناً بالله على حربه
ونزله قاصداً الاسكندرونة على طريق قرية بيلان حيث لم يكن
له طريق اخر الا من ذلك المكان وكان خروجه من حلب بالعسكر
في اليوم السابع والعشرين من صفر فوصل الى حضيض بيلان
بالجمل في اليوم الثاني من ربيع الاول وهي قرية جميلة البنيان
رفيعة الجدران مبنية على ذرة جبل شامخ تبعد عن الاسكندرونة
نحو ثلاثة فراسخ فتجمعت العساكر في تلك الناحية وانتشرت في
السهل الواقع شمالي طريق كلس وانطاكية وهذان الطريقان يلتقيان
عند حضيض بيلان ومن هناك يصبح الطريق واحد للطريق

والوافد وهو ضيق المجال على الحيل والرجال وكان حسين باشا
عند مروره ببيلان اقام فيها سبعة عشر الفا من الرجال والفرسان ليقطع
على المصريين منافذ طريقها باقامة الحواجز عند باب مضيقها بحيث
كان يستطيع بالف مقاتل ان يدفع عشرين الف بطل باسل بالنسبة
الى مركزها الشاقي ومجال مسلحها المتضيق فلما اقبل ابراهيم باشا
اليها واشرف بجيشه عليها وجدها مشحونة بالعاكر والمودن فبادر
الى الحرب واستعد للطعن والضرب قسم جيشه الى اربعة اقسام
واقام كل قسم في مقام ورتب صفوف طوايه محكمة على جيوش
اعاديه وكان قلب جيش الاتراك غابطاً راس المضيق على تل
هناك وهو ممتد ومنشر على شكل خط منكسر وموزع على ثلاثة
باشاوات وموئلف من عدة طواير والايات ممتدة من اسفل
الطريق الى راس المضيق ومن الجانب الايمن واليسر كانت
الطوايجيه وباقي العسكر ولما اختبر ابراهيم باشا مراكز الجيوش
العثمانية وعرف حركاتهم الحربية امر الالاي الثامن والثامن عشر
من الرجال والالاي الجرس ذوي السطوة والبسالة ان يسيروا عن
طريق كلس بالمجل ويصعدوا الى ذروة الجبل ويهجموا على
ميسرة العدو من غير توان ولا هذو فلبوا امره السامي المطاع
وساروا على قدم الاسراع قاصدين اعدائهم كضواري السباع ثم
تقدم بدم على الامر بامر القائد الاكبر الالاي الثالث عشر من

مشاة العسكر تحت قيادة الشجاع المشهور والفارس المذكور صاحب
 القدر العلي حسن بنك المنسطرلي فسار كالبرق مسرعاً وبمعيته اثنا
 عشر مدفعاً قاصداً ساحة الميجاه والهجوم على مينة الاعداء من
 الجهة الثانية المعروفة بطريق انطاكية وكان ابراهيم باشا ليث الطراد
 وسيف الجهاد قد اقام عن يمين ويسار فم الوادي فرقاً من خيالة
 الاجناد ليعضد العساكر اذا ظفروا ويرد العدو عنهم اذا انكسروا
 واستوى هو بنفسه لم قائداً ومراقباً خيراً كانهم ومساعداً فلما رات
 العساكر السلطانية تقدم الجيوش المصرية وهي صاعدة اليها ومشرفة
 عليها من اليمين والشمال كانها اسود الدجال اطلقت عليها المدافع
 من الجانبين المحكمة على الطريقين المذكورين فعند ذلك امر
 ابراهيم باشا فارس الوقائع وليث المعام بهجوم العسكر واطلاق
 المدافع فاطلقت المدافع والبواريد وتسابقت العساكر الى الحرب
 بقلوب اقوى من الحديد فاشتبك من الجانبين القتال واصطدمت
 الرجال بالرجال وارتفع المعجاج وعظمت الاهوال وسالت الدماء
 في ميدان التزال وماجت الخيل بركابها كما يموج البحر اذا لعبت
 به ريح الشمال وكانت لم ساعة من ساعات القيامة قد امتلأت
 من الاهوال وخلت من السلامه لان اصوات المدافع وضجيج
 الابطال كاد يطبق الاودية والجبال وضرب السيوف وطعن
 النصال كان يذهل العقول ويشيب الاطفال وما زالوا في الكفاح

والجهاد والفرار والطراد حتى امسى المكان كانه محاط بمائة
بركان تتدفق منها النيران والدخان وكانت من ابتداء الموقعة
نيران القريبين غير منقطعة غير ان المصريين كانوا في الحرب
اكثر انتظاماً واخف حركة واشد التحاماً فكانت سرعتهم في اطلاق
البنادق والمدافع تسبق وميض البرق اللامع وكان كل فرد منهم
على الشريب والتعديل يقاتل اربعة من الاتراك على القليل لانهم
كانوا قد واظبوا ميدان الحرب ودرسوه واكتسبوا منه علماً بما
مارسوه ومع ذلك لا يبالون بالبلاء ولا يهابون كثرة الاعداء بل
فضلوا ان يموتوا امام قائدهم البطل على ان يرجعوا بالخيبة والفشل
واستمر القتال من العصر الى بعد غروب الشمس وكانت قد
كملت جيوش الاتراك وقتل منها اوفى من ثلاثة الاف نفس
فعند ذلك اختل نظامها وتزعزعت عن المقام اقدمها فتمزقت صفوفها
كل ممزق وتشتت شملها وتفرق وولت على ادبارها نفوراً وكان
امر الله قدراً مقدوراً ولم يفقد من المصريين غير اربعمائة وعشرين
واستولى المصريون على مهماتها ومدافعها وذخائرها وجبختاتها وباتوا
في تلك الديار شاكرين لله على هذا الانتصار وعند طلوع النهار
ارسل ابراهيم باشا فارس الاقطار عباس باشا الى الاسكندرونه في
سته الاف بطل كرار ليقبضي اثر حسين باشا السردار ومن معه
من الاعوان والانتصار واتفق ان حسين باشا قبل ان تصل اليه

اخبار الهزيمة كان موجوداً في دار موسيو مارتينيلى فحصل دولة
 فرانسو الفخيمة فيينا هو يتناول الطعام ويتذاكر في امر الحرب
 والصدام اذ بلغه هذا الخبر وما حل بعسكره من العبر فاستعظم
 المصاب وخرج من دائرة الصواب فنهض في عاجل الحال وسار
 يباقي الرجال والابطال طالبا الهزيمة والفرار خوفاً من الهلاك
 والدمار وعند وصول عباس باشا الى البلد وجده مشحوناً بالذخائر
 والعدد فبادر اليها وحجز عليها ثم لحق من هناك بجيوش الاتراك
 فامر منهم عدداً وافراً وعاد غلماً ظافراً وكان حسين باشا قد اسرع
 في الهزيمة الى ان وصل الى قونية بعد مشقة عظيمة ومخاوف
 جسيمة واما ابراهيم باشا اسد الاساد وسيف الجهاد فبعد ان بلغ
 الارب ونال غاية القصد والطلب عاد راجعاً الى حلب بعد ان
 كتب الى ابيه من بيلان بما جرى وكان وفي تلك الاثناء التقت العمارة
 المصرية بعمارة السلطان بين جزيرة رودس وشواطئ القرماني
 فصار عثمان بك نور الدين قائد العمارة المصرية يطارد خليل باشا
 قائد العمارة العثمانية من دون ان يحاربه او يهاجمه ويضاربه
 ولكنه اكتفى بمحصره في خليج مرمرين وكان ذلك على خليل
 باشا اعظم تنكيس



الباب الثامن

✽ حرب قونية ✽

فلما بلغ الدولة العلية تقدم العساكر المصرية وانكسار الجيوش السلطانية اضطربت قلقاً واستشاطت غيظاً وحنقاً فعزلت حسين باشا السردار الاكرم وعينت محمد رشيد باشا الصدر الاعظم ليسيروا الى ذلك الطرف ويستدرك ما سلف قبل ان يعظم الامر ويستبد وينفتح عليها باب لا يسد وكان هذا الوزير من الافراد المشاهير موصوفاً بحسن الراي والتدبير وموثوقاً به في التقديم والتأخير فاخذ من يومه في الاستعداد وكتب الى قواد البلاد يامرهم بتجهيز العساكر والاجناد فتبادرت الجيوش اليه وثابتت من كل جانب عليه هذا ما كان من امر الدولة واما ابراهيم باشا صاحب الشوكة والصولة فانه بعد هذا الانتصار ما زال ساهراً اثناء الليل اطراف النهار لجهة تثبيت فتوحاته في تلك الديار التي نالها بسيفه البتار وبينما كانت الدولة العلية منهمكة في الاستعدادات الحربية كان هو ايضاً اخذاً في التقدم نحو القسطنطينية وفي اليوم الخامس عشر من ربيع الاول والحادي عشر من آب من السنة المذكورة سار من حلب الى ادنه بالعساكر المنصورة وكانت قد سملت له من كل قضائها نخيم جيشه حول ارجائها منتظراً الاوامر الخديوية وما صممت عليه الدولة العثمانية اما للسلم والمصالحة واما للحرب والمكايده

وكان جناب الخديوي الاعظم بعد ان انتصرت اعلامه في المعركتين
 الاخيرتين كما تقدم لم يستول عليه التعاضل والافتخار ولم تأخذه
 غرة الفوز والانتصار على مداومة القتال والنزاع والجدال بل كان
 يود بت الخلاف وحسم الفتن وتلافيتها بالتي هي احسن والافتناع
 بما فتحه سيفه البثار وساعدته عليه يد الاقدار مع انه كان قادراً
 بعد ان كسر جيشاً وافراً ان يتقدم مغتماً فرصة انتصاره وضعف
 قوة عدوه وانكساره بعد واقعتين هائلتين وهزيمتين متواليتين على
 افتتاح القسطنطينية والاستيلاء على السلطنة العثمانية ولكنه كما
 تقدم الكلام كان يؤثر الصلح والسلام على النزاع والحصام
 والحرب والصدام وكان يؤمل ان فوز اسلمته وانتصار ابطاله
 يحمل الدولة ان تكف عن حربه وقتاله ولكن الدولة بعد واقعتي
 حمص وبيلان لم تطلب عقداً للصلح او فتح المخايبة بهذا الشأن
 بل كانت آخذة في الاستعدادات وتجهيز العساكر والمهمات طلباً
 لاخذ الثار وطمعاً في الفوز والانتصار واما الخديوي المشار اليه فلما
 علم تجهيزات الدولة وما صممت عليه لم يجد بداً من مداومة القتل
 وتفويض الامر الى حكم حدود النصال وبينما كان الصدر الاعظم
 وباقي رؤساء القوائم يناظرون تدبير الجيوش وتجهيز العساكر
 وارسالها الى قوتيه بالمهمات والذخائر كان ابراهيم باشا عالماً بتجهيزاتهم
 وعارفاً بحقيقة حركاتهم وكانت مدينة ادنه التي اقام فيها وعسكر

في نواحيها لكي يحمي بلاد سورية من مهاجمة العساكر العثمانية لا
 تصلح لقيام حركة حربية بالنسبة لمراكزها الطبيعية فاصبح مضطراً
 اما ان يتمهقر بالجيش والعسكر ويستند الى مكان اخر او ان
 يتوغل الى قدام ويواظب على الحرب والصدام اما رجوعه القهقري
 وارتداده الى الورى فلم يكن لائقاً برفع مقامه بعد ذلك النصر
 الذي ناله بجسامه واما توغله في تلك اليباء واقتحامه مواكب
 الاعداء وهو في عدد يسير وم في جم غفير كان امراً خطراً ولو
 كان اذ ذلك متصراً ولو كان لا يسهه ان يرجع ويعود ولا ان
 يقيم في تلك الحدود صمم على التقدم نحو العاصمة وملاقاة
 الجنود القادمة واستنار الله رب العباد على صدق الجهاد وكانت
 الحضرة الحديوية لما بلغوها تجهيزات الدولة العلية الجارية في
 القسطنطينية وبقرب خروج الصدر الاعظم بذلك الجيش المرمم
 لم تجد بداً من مداومة القتال لينتهي الحال ويرتفع النزاع والجدال
 اما بالانتصار التام او بالانكسار والانهازام فارسلت الاوامر والمراسيم
 الى ولدها ابراهيم ان يرحل من تلك البلاد ويتقدم فهو قوته
 بالعمائر والاجاد ويأشر الحرب والجلاد وكان جناب المشار اليه
 قبل ورود هذه الاوامر عليه مستعداً للرحيل والقيام والتقدم الى
 امام كما تقدم الكلام واذا كان لا يمكنه تخليته البلد خوفاً من
 سطوة العدو اذا وفر اقام عباس باشا فيه ليعفظه ويحميه وبعد

ذلك تجهز وارتحل في السابع عشر من جماد الاول فاصداً مدينة
قونية على عجل بعد ان ارسل جيش الباشا يرق وبعض الفرسان
عن طريق منارة خان وسار هو وباقي العسكر من طريق اخر ولما
بلغ شطوط القرماني التقى بعثمان بك نور الدين الذي كان بعد
ان طارد عمارة السلطان كما ذكرنا قبل الان وحضرها في خليج
مرمريس اياماً تخلصت ولم يبلغ فيها مراماً سوى فرقاطتين
وكوتروا بريقين فنظر اليه بعين الاحتقار وقال له الا تعلم ان
تضييع فرصة الانتصار هي عندي من اعظم الذنوب الكبار
وانت قد قصرت في خدمتك وتوانيت في تنفيذ اوامري نعمتك
الامر الذي منه قد تكدرت، أكثر مما لو حاربت انت وانكسرت
وانني لولا اعتبار حرمة ولي النعم جناب والذي المعظم لنزعت عنك
السيف والنيشان وطردتك الى ابعد مكان ثم انه بعد هذا الكلام
والتوبيخ والملام سار بالعسكر والجنود حتى وصل الى قرية غرود
نقيم في تلك الحدود وكان قد ارسل سرية من الجيوش النظامية
فاستولت على بوغاز كولاك وهو معبر عسر المسلك وبافتتاح هذا
المضيق شمل للمصريين الطريق ولم يبق عليهم سوى واد آخر
اصعب من الاول واعسر

فبعث ابراهيم باشا طابورين من العسكر لافتتاح ذلك المعبر
تحت قيادة سليم بك حجازي وابراهيم اغا الجوخدار وكلما من

ذوي الشجاعة والافتداز ولما اقتربوا من فم الوادي التقنهم عساكر
 الاعادي وكانوا نحو ثلاثة آلاف قد كمنوا في تلك الاطراف ليمنعوا
 المصريين عن العبور من ذلك المكان المذكور فبادر المصريون
 اليهم ونزلوا نزول القضاء المبرم عليهم والمهجوم بضرب الرصاص
 وسدوا عليهم طرق الخلاص ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى
 ابلوهم بالويل والهوان وشتموهم في الجبال والوديان واستولوا على
 ذلك المكان وبينما كان المصريون منتصرين في هذه الناحية كانت
 فرقة اخرى انتصرت في جهة ثانية يقال لها اولو قشله انفشل فيها
 العدو اعظم فشله ولما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر نهض على الاثر
 مع باقي العسكر وسار على عجل حتى قطع ذلك الجبل نفيم في
 سهل هناك كانت قد اختلته جيوش الانراك فاستقبله اهل تلك
 الديار وولاء هاتيك الاقطار بالفرح والاستبشار وهنئوه بذلك
 الفوز والانتصار فاعطاهم الامان وعاملهم بالرفق والاحسان وفي
 اليوم الثالث من تشرين الثاني توجه من قبل الدولة بالجيش
 العثماني جناب دستورها الاكرم محمد رشيد باشا الصدر الاعظم فقل
 المرحلة الاولى في اسكودار ثم وجه عسكره نحو قونية وسار وبعد
 خروجه بخمسة ايام صدرت من ابراهيم باشا الاوامر والاعلام
 الى جيشه باخذ الاستعداد التام والمسير الى قونية لاقامة الحرب
 والصدام فاجاب وامثل واستعد وسار بالعجل ثم نهض ابراهيم

باشا وارتمحل ولما اقترب من تلك الديار اتصلت اليه الاخبار بان
 امين روهوف باشا معاون حرب الصدر الاعظم وزعيم الجيوش
 التي كانت في قونية وفائدها المكرم قد اخلى المدينة وجد السير
 قاصداً التحصن في اقشهير فلما علم بهذا الخبر فرح واستبشر فسبق
 الجيش والمسكر وقصد قونية على الاثر فوصل اليها ليلاً في اليوم
 السابع عشر من الشهر المذكور ودخلها دون حرب دخول الظافر
 المنصور فقل في دار الولاية واخذ باجراء ما تقتضيه الحكمة
 والدراية فامر بتحصين المدينة ونحو يطها بالحواجز المثينة اذ لم يكن
 قد اخلاها الاتراك الا لكونها لا تصلح لاقامة الحرب والعراك ولما
 وصل الصدر الاعظم الى اقشهير وزد اليه امر الدولة ان ياخذ
 باحسن الخزم والتدبير وينتهر الفرصة المناسبة لاقامة المكاحفة
 والمহারبة وكان ابراهيم باشا فارس الميدان وليث الحرب والطعان
 قد وجه محمد بك بفرقة من المشاة والفرسان ليأخذ له مراكز في
 قيصريه ويراقب حركة الجيوش العثمانية وكتب الى ابراهيم باشا
 الصغير الشجاع الشهير ان يلي الطلب ويخرج من حلب بفرقة
 من الابطال ومشاة الرجال ويمر بعين تاب ويقم في شمالي مرعش
 وتلك الرحاب للسطوة والارهاب وهكذا بهذه الحركة الحريه
 وفي جناحي عسكره وحفظ ايضاً قطر سوريه ولكن اضمى جيشه
 العامل عدداً يسيراً امام عدوه الذي كان جماً غفيراً فكان امامه

حينئذ جيش عظيم مستند الى العاصمة ووراءه سور به مفتوحة
 جديداً وليس فيها قوة تكفي لحفظها من المهاجمة وعلى يمينه عثمان
 باشا والي طرابزان في سيواس بجمهور وافر وعلى يساره سليمان
 باشا في اضايا في عشرة آلاف من العساكر وفي اليوم السادس
 والعشرين من رجب استعد الصدر الاعظم للحرب وتاهب فامر
 وافي باشا ان يسير من غير توان ولا هدر وينزل على قرية سلاح
 بثانية آلاف من الارنؤوط ويقاثل العدو فاجاب وامثل ونهض
 على عجل وكان ابراهيم باشا قد جعل فيها نحو الف نفر لتحميها
 وتقيها وسار الصدر الاعظم في طريق آخر يباقي الجيش والعسكر
 واما ابراهيم باشا لست المعارك فحينما علم بذلك سار بفرقة من
 المشاة والابطال قاصداً قرية سلاح على قدم الاستعجال ليمضد من
 كان له فيها من الرجال وعند وصوله الى هناك التقى بجيش
 الانراك وكان ذلك النهار كثير الثلوج والامطار ولا وقعت العين
 على العين اشتبكت الحرب بين الفريقين فما لبث الارنؤوط ساعة
 حتى ولوا الادبار وركنوا الى الهزيمة والفرار وتشتتوا في تلك
 الاقطار بين الروابي والقفار ففهم منهم المصريون خمسة مدافع
 ومن الخيل عدداً كثيراً وثمانية ياروق وخمسة وعشرين اسيراً
 وفي اليوم الثاني بلغ ابراهيم باشا ان قسماً من الجيش العثماني بنيف
 بن سبعة الاف عنان نازل في طغوزلوخان بالقرب من ذلك

المكان فتاهب للحرب والطعان وقصدتهم من غير توان بالايين من
 الفرسان وعند وصوله اليهم اطلق المدافع عليهم فما لبثوا ان وقعوا
 في اشتات وتفرقوا في البراري والقلوات ورجع غافراً منتصراً
 بعد ان اسر منهم مائة وخمسين نفرأ فدخل المدينة بموكب عظيم
 وعند دخوله سلم له نحو ستائة من ارباب تلك الاقاليم وطالبوا
 ان يشملهم بنظره ويستخدمهم بين جنوده وعسكره فتحقق بفراسته
 منهم سلامة الطوبى وارسلهم لينضموا الى فرقة محمد بك في قيصريه
 وفي القد بلغ ابراهيم باشا بان الصدر الاعظم قد سار قاصده من
 لاريك بالجيش العرمرم وهي بلدة في تلك الجهات تبعد عن قونية
 ثمان ساعات فوزع في الحال الاوامر على القواد بان يكونوا في
 اليوم الثاني مستعدين للحرب والجلاد وفي الصباح ورد اليه الخبر
 بان الصدر الاعظم قد اقترب بالعسكر فاتخذ في الاستعداد للحرب
 والكفاح وامر عسكره بحمل السلاح فاستعد العسكر كما امر ووطن
 نفسه على الموت او الظفر وكان ذلك يوم الجمعة الواقع في التاسع
 والعشرين من رجب سنة ١٢٤٨ هجرية الموافقة للحادي والعشرين
 من شهر كانون الاول سنة ١٨٣٢ مسيحية فكان يوماً كثير الغيوم
 والضباب بحيث كانت كثافة السحاب تمنع احد الجيشين من ان
 يرى الآخر وهم في غاية الاقتراب فقسم ابراهيم باشا عسكره الى
 عدة اقسام واقام كل قسم في مقام فجعل الالاي الثالث عشر

والامن عشر الذين لا يهابون الموت ولا يخافون من الخطر على
الخط الاول من يمين الجحفل تحت قيادة صاحب القدر العلي
سليم بك المنسطرلي وعلى مسافة نحو خمسية قدم من هذا
الخط جعل سليمان باشا الفرنسي البارع بحركات الحرب بالجزم
والضبط ومعه الالاي الثاني عشر والرابع عشر منتظمين على هيئة
ترجع لهم القوز والظفر وجعل سليم بك حجازي في القلب
ومعه صفوفه المزودة متاهة لاضرام نار الحرب واقام للحرس
عن يمينه وشماله على نحو مائة وخمسين خطوة فرقتين من الخيالة
ذوي السطوة والبسالة وكل واحدة من الفرقتين موءلفة من
الايين احدهما تحت قيادة احمد باشا المنكي والاخر تحت لواء
احمد بك الاسلامبولي وجعل امامه الخط الاول من مركز
الجحفل ثلاث طوابي من الطوبجية الذين لهم معرفة بالامور
الحرية وكذلك قدم من الطوبجية طابيتين وجعلهما امام الصف
الثاني ثابتين حيث كانا مائتين نحو القلب قادرتين على الملهمات
والضرب ووضع وراء قلب الحرس على رؤوس صفوف الخيالة فرقة
من الطوبجية ذوي الشجاعة والبسالة وفي طرف الجناح الايمن
الى الورا اصطفت المدالية والبدو متهيئة للالتقاء وجعل في جبل
قرية سلع طابورين من قواصة الاتراك الذين كانوا سلموا طوعاً
وانتظموا حديثاً للقتال والعراك وهكذا كانت العساكر المصرية

مرتبة بعضها على شكل خطوط مزدوجة مرصعة وبعضها على شكل
قلاع مربعة كانوا من اي جهة اتاهم العدو يستطيعون ان يلتقوه
بغاية الثبات والهدوء

وكان الجيش مستنداً الى قوته من الورا والى جانبه الايمن
فلوات قفراً وعن يساره قرية سلاح التي سبق عنها الشرح ومن
امامه سلسلة من الجبال وعند حضيضها عساكر الاتراك مستعدة
للقتال فعلى هذه الكيفية كانت مراكز العساكر المصرية واستعداداتها
الحربية واما جيش العدو فكان مرتباً على اربعة صفوف بحسب
ما هو بترتيب حركات الحرب معروف فكان الاول منها منتشراً
والثلاثة الاخر متجمعة وكانت فرقاً فرقا على عدة باشاوات موزعة
وكانت الطوبخانة مقسمة من مدفعين على كل طابور ومن اربعة
على كل الاي بالعد المحصور وكان خير الدين باشا على الجناح
الايمن قد تصدر وسعد الله باشا على القلب قد تأمر والصدر
الاعظم اخذ لنفسه قيادة الجناح الايسر وكانت هذه الجيوش
مستندة من الورا الى الجبال وعن يمينها قرية سلاح وتلك التلال
والى جانبها الايسر البر الاقصر ومن امامها قوته والعساكر المصرية
ولريق القسطنطينية بين الفريقين على السويه وكانت عساكر دأ
مؤلفة من خمسة وخمسين الفا وثلاثة وتسعين مدفعاً من اجرام
مختلفة وكان الجيش المصري ثلاثين الفا غير زائد ومعه ستة

وثلاثون مدفعاً من جرم وقواس واحد ولم يكن امامه سوى امرين
 اما الاقدام والانتصار وما الانهزام والبوار وكان الصدر الاعظم
 قد وطن نفسه على ان يذهب قتيلاً او يرجع غالباً واقام احمد
 فوزي باشا عنه نائراً حتى اذا اقتضى الحال لا يقيم في العسكر
 اخذ لال غير انه لتواكم الضباب وتكاثف السحاب قد اقام القرى بقان
 برهة من الزمان لا ينظر احد منهما الفريق الآخر ولا يفعل ادنى
 حركة بان يقدم او يتأخر وعند ما ظهر النور قليلاً وازال من
 الضباب ما كان حجاباً ثقيلاً انطلقت اعين الرجال والابطال
 ورأى الجيش المصري عدوه منتظماً على مسافة ثلاثة اميال فامر
 ابراهيم باشا الجناح الايسر بلوي قليلاً الى الوراء ولكن بكل
 انتظام بحيث لا تمكن منهم الاعداء لانه رأى ان معظم حركتهم
 متجهة الى نحو تلك الجهة فامتثل واطاع والنوى نحو مائة ذراع
 واذا بعساكر الاتراك قد هجمت مثل السباع واندفعت الى ساحة
 القتال اي اندفاع فبدأت الحرب بقلوب غير جازعة واطلقت
 مدافعها طلقات متتابعة الا ان المصريين لم يقابلوا تلك الحركة
 ممن تأثر بل لبثوا ينظرون تقدم العدو اكثر فاكثروا وعند ذلك
 اخذ ابراهيم باشا يفقد الصفوف ويجول بين العساكر ويطوف
 ويشجعهم بالكلام ويحرضهم على الشبات والاقحام ثم سار الى
 جهة اليمين نحو بئر هناك قديمة السنين ليقيم على حركة جيش

الاطادي ومعه الف وخمسمائة من العرب الهنادي وجماعة من اعوان
 حربه الذين كانوا يغزون بقرية فلما وصل اليها واشرف عليها
 اتفق ان شقت حجب الضباب وزال قدم السحاب فامككه حينئذ
 ان يرى جميع الجيوش السلطانية ويتأمل حركاتهم الحربية وكان
 جيش فرسان الاتراك قد انفصل عن المشاة وتقدم للعراك املاً
 ان يفوز بالفخر والسطوة واصبح بينه وبين جانب الجيش الایسر
 نحو الف خطوة فعزم ابراهيم باشا من غير تباطى ان يدخل بينهما
 بالجيش الاحتياطي وامر البدوان يتقدم على الاشراف فيقفوا على حافة
 ذلك العسكر فساروا قليلاً ولم يلبثوا طويلاً حتى رجعوا منكسرين
 ومن كل الاعداء متشتتين فامر حينئذ جيش الفرسان وجيش
 الاحتياط والمشاة من الشجعان ان يتقدموا امام العسكر ويهجموا
 على جناحي العدو الایمن والایسر فاندفعوا جميعاً كالسيل العرمم
 ونزلوا على الاعداء نزال القضاء المبرم وقد هانت عليهم الاجال
 في بلوغ الامال فصدمتهم الاعداء صدمة تزعزع الجبال ورد
 اسود الدخان عن حواشي الاشبال وفي الحال اشتد القتال وتماثلت
 الاهوال وتكبرت رءوس الابطال في ساحة المجال وجرى الدم
 وسال وتطارت مهج الرجال ونار بهم ملك الموت من اليمين
 والشمال وكانت طلقات البنادق والمدافع ترجع الارض كالزعزعة
 ومهاجمات الرجال والفرسان وحر الضراب والطلعان يحرق الارض

فتطير حصاها شراراً ويصعد غبارها دخاناً وناراً وكان جيش
الأتراك يحاول مع شدة العراك ان يخرق صفوف المصريين
ويشتتهم ذات الشمال وذات اليمين ولكنهم ثبتوا ثبوت القلاع
وامتنعوا عليه اشد امتناع فكان العدو لا يستطيع ان يحارب
كمحاربهم ولا يامن على السلامة من مقاربتهم ، يمكننا بان
نقول ان كلا من الفريقين قد فعل في صفه ما يعجز القلم عن القيام
بحق وصفه فكان الرجال يهجمون على الابطال والابطال على
الرجال وكثيراً ما يلتحمون اختلاطاً في ضيق المجال فيراهم الناظر
نكبات سوداء يقطر الدم منها تدرعت من العجاج بعد ان
تمزقت اثوابها عنها وكان صوت البارود يزيد اصواتهم ارجاءاً ودخانه
يزيد الوائهم سواداً حتى تجسم الويل للابصار واشتدت ظلمة
الليل في وسط النهار ومما كان يزيد فناءة ذلك المنظر الخفيف
دوي الحرب العنيف وتراكم ذلك الضباب الكثيف الذي كان لم
يزل يحجب بعضهم عن البعض فيلتطم الجحفل بالجحفل وينصرعون
جميعاً الى الارض وقد تفترت اكباد تلك الجبال وتمزقت احشاء
تلك السهول والشلال من صرخات المتوجعين وانات الكراديس
المقتولين وقاتل المصريون في ذلك النهار قتالاً يحير الافكار ويذهل
العيون والابصار وكان بطلهم ابراهيم وسيدهم العظيم بحري بينهم
اسرع من النسيم وهو يهون عليهم الاهوال ويحرضهم على الثبات

والقتال ويقتحم بنفسه أحياناً أشد المخاطر ويفعل ما لا يفعله
 أشجع المساكين بهجومه على الكتائب والمواكب وعدم اكتراثه
 بالاهوال والنوائب حتى يخيل لجنوده أنه لم ينظر المدى أو لم
 يعرف الموت والردى وبينما كان القتال هكذا شديداً متشعراً منه
 الأبدان ولو كانت حديداً أظهر المصريون الشجاعة والشبات
 وهجموا على أعدائهم من ثلاث جهات غير مباينين بالمخاطر والافات
 وحكموا حرائبهم في الصدور والهجمات فلما نظر الاتراك إلى جلاد
 المصريين وثباتهم وشدة هجماتهم ووثباتهم قطعوا من سلامتهم
 الأمل وايقنوا بالهلاك وحلول الأجل فركن بعضهم إلى الانهزام
 بلا ترتيب ولا انتظام فكانوا يتقلبون في تلك القفار كما تتقلب
 الأمواج في لجج البحار وبينما هم كذلك أذ صدمهم الأسد الفاتك
 والبطل المعارك الذي اشتهر بالشجاعة في الوقائع والمعامع أحمد باشا
 المنكي بالالاي الرابع فاراهم العجائب وفعل بهم الغرائب تخافوا
 من هول البلاء وارتدوا راجعين إلى الوراء حتى وقوا على باقي
 أصحابهم وهم يرون الموت قد احاط بهم فاخبط جيشهم طوله
 بالعرض وأمسى لشدة الارتباك بعضه يصدم البعض وحينئذ اشتد
 الويل وازدحمت الرجال بالحبل حتى كانت لهم ساعة تحزن الناظر
 وتوجع القلوب والضائير لا يستطيع القلم أن يصفها ولا من يشاهدها
 أن يعرفها

وأما الصدر الأعظم فإنه لما رأى ذلك الخطب العرمم عظم
 الأمر عليه واسودت الدنيا في عينه وخاف من الهلاك والعطب
 وعلم أنه إن ولى وهرب وقع تحت الملام والتهب فلم يجد أوفق
 من القتال والثبات في مواقف الأهوال فتقدم إلى قدام بهمة
 واهتمام وافتمم معركة الصدام عازماً على أرجاع النظام وتجديد
 الحرب والافتحام بعد ذلك الفرار والانحزام وكان قد قتل تحت
 في ذلك اليوم ثلاثة حصنه ونجرح الرابع في عدة أمكه فجعل
 يحول بين العساكر كأنه الأسد الكاسر حتى وصل إلى الألاي
 الخامس والتاسع والسابع عشر الذين كانوا من المشاة وامسوا في
 حالة الخطر فيبينما هو يحول من خلف وأمام ويلشظهم على الهجوم
 والافتحام إذ لمح ضابط من ضباط المصريين فعلم من ملبرسه الثمين
 أنه من الكبار القواد الذين عليهم الاعتماد فأمر بعض البدو أن
 يلحقوا فالحقوا به وضائقوه وسدوا في وجهه طرق الخلاص وهموا
 أن يطلقوا عليه الرصاص فأشار عليهم أن لا يفعلوا وأوقفهم عما
 عرلوا ثم أعلمهم بحاله خوفاً من حلول المنية وأنه الصدر الأعظم وقائد
 الجيوش السلطانية فحيث تركوا بنادقهم وتقدموا إليه واخذوا
 سيفه وسلاحه وكل ثمين عليه وفي الحال جاء سليم بك قائد
 الطوبجية وأحمد أفندي ياور إبراهيم باشا في الأمور الحربية واخذوه
 من أيدي البدو بكل احترام واعتبار إلى مولاهم إبراهيم باشا

الباسل القهار وكان قد مضى لهم ساعتان في الحرب وشدة الكفاح
والطعن والضرب من حينئذ اسروه الى ان اتوا به الى مولاهم
واوصلوه فالتقاه ابراهيم باشا بالوفار ومزيد الاعتيار وبالغ في
اكرامه وشيعه بخضر يلبق بشخصه ومقامه واوصى خفره ان يوصلوه
الى قوته بالبحيل والتكريم وينزلوه في الدار التي هو فيها مقيم هذا
وان نار الحرب والجلاء لم تزل تزيد ازدياد اذ الاتراك كانوا
لشدة الهم لم يعلموا بأسر مولاهم ومع ما كان من انهزام الصفوف
تمكن قوادهم من ارجاع اليقين الى انتظام المألوف فثبتوا بالعزم
القوي وهجموا على المصريين على هيئة الخط المتوي ليعيطوا بهم
من ثلاث جهات ويقطعوا خط اتصالهم بقوته ويرموهم بالشتات
على انهم لو تمكنوا من ذلك لرموهم بافئذع المهاد وكسروهم كسرة
هائلة وخسروهم اتعابهم سنة كاملة بحيث لا يعود يمكنهم الثبات
ولا تعويض ما فات وشرع الاتراك على هذا العزم يتقدمون
وكانوا يأملون انهم يحركتهم هذه فيجرحون فتبت جناح الجيش
المصري ثباتاً يقضي بالمحجب ومستحق ان يدون بالحرف من الذهب
اذ على ذلك الثبات والصبر يتوقف النصر والكسر فلما رآه
الاتراك ثبات المصريين استبعدوا النجاح وولوا متهمين فبعثهم
الفرسان والابطال من اليمن واليسار وانزلوا بهم من الاحوال ما
يقصر عنه المقال واخذوا منهم نحواً من ثمانية الاف اسير وستة

وخمسين مدفماً بين صغير وكبير وكسبوا اعلامهم وراياتهم وجميع
ذخائرهم ومهماتهم بل كسبوا منهم ما لا يحصى وغنموا ذخائر
وصفها لا يستقصى وقد قتل من الاتراك في ذلك اليوم الممبول
خمس آلاف رجل وفقدوا مثلها من الخيول وتركوا ضعفها بمجاريح
منطرحه في تلك السهول واما خسارة المصريين فكانت ثمانمائة
وخمسين ومن المجاريح الفا وعشرين وكان ابتداء القتال بين العسكرين
من بعد الظهر الى ما بعد المغرب بساعتين فاستمر نحو سبع ساعات
ونصف على ما سبق من التفصيل والوصف وبعد ذلك رجع
الجيش المصري الى قونيه ظافراً منصوراً وغنائماً موفوراً فدخلها
على ثلاث ساعات ونصف من المساء وهو سكران بخمرة النصر
على الاعداء ولما عاد ابراهيم باشا الى منزله في سراية قونيه اراد
ان يرى الصدر الاعظم مرة ثانية فأتى الغرفة التي كان انزله بها
ذلك اليوم فوجده راقداً مستغرقاً في النوم فايقظه بكل لطافة
ووقار وسأله بكل رقة واعتبار ان يحضر ان شاء الى ديوانه ويستأنس
به وباعوانه فنهض وتبعه بالعجل وهو في غاية الخجل ولما بلغا
المكان ودخلا الديوان اعطاه ابراهيم باشا المحل الاول ليجلس به
وجلس هو بقربه وكان يعامله معاملة حسنة ويعتبره كاول رجل
من وزراء السلطنة ويحتفله احتفالاً زائداً اعجب به كل من
كان شاهداً ثم امر ابراهيم باشا بالقهوة ان تحضر ولما احضرت

اني ان يشربها محمد رشيد واعتذر وقد زاد قلقاً وغماً وخاف ان
تكون ممزوجة سمّاً وطلب عوضها شربة من الماء لانه كان في
غاية الظما فامر ابراهيم باشا ان يأتوه بكأس شربات فقال اني افضل
الماء على جميع الشروبات فانتهر ابراهيم باشا رئيس السقااة وقال
احضر كأس شربات بدون امهال فاذا ذلك لم يعد محمد رشيد يجد
بدأ من القبول بعد ذلك الشديد ولما ملأ الساقى الكأس واتى
بها كان محمد رشيد يتهمل عن اخذها وشربها فمد ابراهيم باشا يده
بسرعه وشرب منها قسماً كبيراً من اول جرعه ثم قال له خذ ولا
تسىء بنا ظناً فأخذها وشربها مطمئناً

الباب التاسع

في عقد الصلح مع الدولة العلية والحكومة المصرية

ورجوع ابراهيم باشا الى سوريه

وكانت هذه الكسرة القويه قد وصلت اخبارها الى القسطنطينيه
بسرعة كليه تخافت جميع الاهالي واضطرب الباب العالي ولم يعد
يمكنه بعد تلك الحال وفقد المهمات والا مال الا التسليم للانضاء
واختيار الذي يغلب الرضى ففكر رجال الدوله فيما يجبر الخلل فلم
يجدوا اوفق من الصلح في نجاح العمل ولكن كانوا يريدون
حسم الداء وتسكين تلك الداهيه الدهماء على طريقه مناسبة
مرضيه بحيث لا تضر بالدولة العلية فطلبوا اذ ذلك من فرنسا توسط

الحال ورفع الحرب والقتال فأجابتهم الى ذلك السؤال وبعثت
ركيل سفارتها البارون دي فلرين الذي كان من اذكي رجال
السياسة المعتبرين بالرسالة الآتية الى ابراهيم باشا صاحب المهمة
السامية

حضرة صاحب القدر الشامخ والتمام الباذخ
انه لمن واجباتي ان اخبركم بان الباب العالي لما كان يجب
ان يضع حداً للحرب القائمة التي تجلب الدمار وتخرب ارباب فقد
بعث بمخيل باشا الى الاسكندرية وفوض اليه امر ايجاد علاج
للخلاف الحاصل وتسوية نهائية مع حضرة صاحب السمو محمد
علي باشا والدكم المظم واذ كان هذا المشروع ناشئاً عما كانت
تبلغه من جانب الباب العالي الى حضرة صاحب السمو والدكم
المأجود رابت انه من الفرض الواجب علي ان اعلمكم به وانا بصفة
كوفي وكبل دولة هي ولو لم تكن تنفي على الدوام الانحراح ونمو
السلطنة العثمانية فما ايضاً امانة كلية في الحضرة الخديوية ولذا
تفوض الي ايضاً ان اتخاير مع سموكم بتوقيف الحرب والقتال وبناء
على ذلك قد حررت لكم هذه الرسالة راجياً بعد ان تكونوا
وففتم عليها لا ترمون مكاناً لمداومة اسباب النزاع والعداوة التي
غالتها اللوم والعار والمسئولية على مسببها وربما منها تنولد الصعوبات
التي تحول دون المقصود فتمنع انهاء الخلاف المباشر فيه فاذا تقرر

فلا غرو انكم تحلون تقريري هذا محل الصدق والصواب وتوقفون
عن التقدم الى امام وتصعدون وامركم الى قواد جيشكم بالتوقف
والتاخير واني لمعتقد اعمقاً جازماً بان سموكم ترغبون النقام السلامه
والثامين ولا ترضون بما يناقض ذلك فارجو متى وقفتم على كتابي
هذا ان تكونوا على يقين مما تضمنه من المقاصد السليمة وما انا
بانتظار افادكم التي ستشرفوني بها صحبة لافله وقد اغتنمت هذه
الفرصة لاقدم لسموكم خلاص حاسياتي واعتباري التام
وكيل سفارة دولة فرنسا لدى الباب العالي الامضا

البارون دي فارين

من ترييا في ٩ خلت من شهر كانون الثاني سنة ١٨٣٣

فلما وقف ابراهيم باشا على هذا الكتاب وقراه واطلع على
اخواه اجابه بما معناه انه لما لم يكن الا قائداً للمساكر المصرية فلا
يمكنه الا ان يسلك بحسب الاوامر الخديوية وبناء عليه ليس
بوسعهم ان يتوقف ويضع الفرصة ثم حمل الصدر الاعظم ان يعلم
الدولة بتقدمه نحو برصه وذلك ليس على نية حرب ولا جلاء
وانما جل المقصد والمراد هو لداعي هجوم الشتاء ودخول فصل البرد
وعدم وجود ما يسد به احتياج الجند ثم ارتحل من ذلك المكان
بالرجال والفرسان في التاسع والعشرين من شعبان وعدد وصوله
اني كوثانيه ارسل له البارون دي فارين رسالة ثانية يطلب اليه

ويشدد عليه ان يتوقف في مكانه برجاله وفرسانه ولا يعود يتقدم
ولا خطوة قدم الى ان ينتهي الحال ويرتفع النزاع والجدال على
طريقة مرضية للحكومة المصرية والدولة العثمانية وكتب ايضاً الى
الحضرة الخديوية يعلمها بهذه القضية مشدداً على جنابها الشريف
ان تأمر ولدها بالتأخير والتوقيف فلما وقف ابراهيم باشا على هذه
الرسالة واطلع على ما تضمنته من المقالة اجابه بهذا التحرير وكان ابو
قدامره ان يتوقف عن السير

حضرة صاحب المقام السامي حليف الشرف وامغار محبنا
وصديقنا البارون دي فارين لقد حظيت برسالتكم الودادية التي
بعثتموها الي بتاريخ ١٠ رمضان سنة ١٢٤٨ و ٢٩ كانون الثاني
سنة ١٨٣٣

ووقفت على ما تضمنته من المحبة والخلوص ثم انني قبل ان
اسير من قونيه قد عرفت الباب العالي بواسطة الصدر الاعظم
ان الذي حملني على الخروج من قونيه والتقدم الى برصه لم يكن الا
داعي عدم وجود ما يسد احتياجات الجيش وقدم فصل الشتاء
البارد ونقصان الحطب وان لم يكن لي ادنى قصد في حركتي
الا السبب الذي ذكرته فاذا تقدمي كان من هذا القيل واذا قد
وصلت الان الى كوناھيه ووجدت فيها ما يكفي ويقوم باود
الجيش فقد صممت على الوقوف هنا امتثالاً لاوامر والي وولي

نعمتي الى ان ترد لي ، انه افادة جديدة في هذا الشأن وانتي ساعلم
الباب العالي ايضاً راجياً ان اكون قد وفيت بمرغبات سعادتك
الوداديه التي يسرني جداً ان اقوم بايفائها وانتي انتهي هذه الفرصة
لا تفحص عن عزيز سلاطتكم

من كونا هيه في ١٥ رمضان سنة ١٢٤٨ الامضا

ابراهيم

وكان ابراهيم باشا قد اطلق سبيل الصدر الاعظم فعاد الى
الاستانة وكانت الدولة سمت امين روف باشا صدر اعظم مكانه
ولما كان اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٨٣٣ مسيحية قدم
البارون دوسين سفير فرنسا الى القسطنطينية فقبل امام حضرة
السلطان وتناظر معه بهذا الشأن ووعدته بانهاء الخلاف على اي وجه
كان وارسل الى الحضرة الخديوية برسالة ودادية يطلب منها
ترجيع الجيوش المصرية الى بلاد سورية
وهذه صورتها

حضرة صاحب السمو والمقام العالي

لا يخفى عليكم المركز العسر الذي بات فيه الباب العالي من
جري نجاح ولدكم ابراهيم باشا حتى انه اضطر اخيراً ان يقبل
مساعدة دولة روسيا التي كانت قد عرضتها عليه ولما بلغه اخيراً
حسن نواياكم وميلكم الى فصل الخلاف طلب توقيف تلك المساعدة

ولكن لسوء الحظ تأخرت الافادة فوصلت الممارة الى البوسفور والان
قصدي ان احملكم على قبول ما عرضه عليكم خليل باشا معتمد
الباب العالي من باشاوية عكا وبعض اطراف سورية لكي توفروا
اسباب نزع السلام ليس في الشرق فقط بل في الغرب ايضا
لان ذلك اصبح يضر بمنزلة اوروبا وبصالحنا ايضا فاذا ارجو
سموكم ليس فقط من اجل صوالحكم الخصوصية بل من اجل
سلامتكم وامنكم الذاتي ايضا ان لا تتصلبوا في عزمكم او ان
تسحبوا عساكركم من الاناضول حالا والا فبمزيد الاسف اقول
لسموكم انكم اذا كنتم لم تزالوا مصممين على عدم التوقف
تعملون دولتي على ان تمد نحوكم ذراع العدوان الامر الذي لا
يرضاه وانا قد تعهدت للباب العالي بذلك اذا اقتضته ظروف
الحال ودولتي لا يمكنها الا ان تفذ ما قد تعهد به وكيلاها المطلق
وان تكونوا على يقين مما تضمنته رسالتنا من المقاصد السليمة
وسموكم تعلمون ما بين دولتي وبينكم من الوداد ومراعاة الخاطر
فلا تحملونا على ان نخالف ظننا بمقاصدكم السامية ومن طيه تجدون
صورة الرسالة التي بعثت بها الى جناب ولدكم الامجد هذا واني
اغتنم الفرصة الثمينة يا صاحب التدبر والفخر لاؤكد لسموكم اعتباري
النام

القيس اميرال سفير فرانسالى الباب العالي

الامضا

من ترابيا في ٢٢ شباط سنة ١٨٣٣

البارون دوسين

فاجابه الخديوي الاعظم والداودي الاكرم الانغم بما ملخصه
وصلتني شفتكم الرسمية بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٨٣٣
وفهمت مضمونها اما قواكم انه ليس لي حق ان اطلب
اكثر من باشاوية عكا وبعض اطراف سوريا وبناء عليه يجب ان
اخرج عساكري من الاناضول بدون ادنى عائق ثم تهددني ان لم
افعل ذلك فهلا يا جناب السفير المحب باي حق تطلب مني ذلك
الم اطلب او لم اكن قادراً ان اغلب بعد فكيف تكلموني ترك
حقكم لنا غير اني ارجو ان مقاصدنا ونوابا دولتكم الضعيفة لا
تريد مني ذلك ولا تحوجني اليه بل تعاملني بالعدل والانصاف
واني اقول ثانياً انني قد غلبت وظفرت وقد يحق للغالب ان
يضع الشروط وليس للمغلوب واني لا اتنازل عما قد طلبته من
معمد الباب العالي واذا اقتضت الحال فاني مستعد ان لا اعيد
السيف الى غمده قبل ان انال المقصود او اموت شرفاً بين
جيشي وامتي واني يا جناب السفير اعتقد اعتقاداً جازماً بعد انكم
وجوداً تديرهم ولذا ارجو ان تصادقوا على تصرفي وان تسدوا
لدى الباب العالي مطالبي التي بلغتني الى خليل باشا والسلام
احسن ختام انتهى ملخصاً

الامضا

محمد علي

من الاسكندرية في ٨ خلت من آذار سنة ١٨٣٣
ولما بلغت هذه الرسالة السفير المشار اليه واطلعت الدولة على ما
احتوت عليه لم تجد بداً من ملافاة الامر واتخاذ ذلك الجمر
على طريقة مناسبة خوفاً من العاقبة ففوضت البارون دوسين
بفض هذه القضية وانها تنازل للحضرة الخديوية عن جزيرة
كريت وسوريه وتسلم مقاليدها للحكومة المصرية فارسل البارون
دوسين البارون ديسفارين في التاسع والعشرين من آذار الى
كوناهيه وتلك الديار لكي يستخبر مع ابراهيم باشا بهذا الصدد وعند
وصوله الى ذلك البلد التقاه ابراهيم باشا بالترحيب والتكريم واحتفل
له الاحتفال العظيم وبعد اقامة فروض الواجبات دارت بينهما المحادثات
فطلب ابراهيم باشا علاوة على كريت وسوريا ولاية ادينه لما
كان البارون المشار اليه مفوضاً اليه التفويض التام من طرف السلطان
سلم له بهذا الطلب حسماً للنزاع والتعب وتحمرت شروط العهدة
في الثامن من نيسان والسادس عشر من ذي القعدة فأُمضيت من
الطرفين وصادق عليها كل من الدولتين وهكذا انتهى الحال وارتفع
النزاع والجدال وخذت نار الفتنة بعد الاشتعال ورجع ابراهيم
باشا الى قطر الشام بالعز والاحترام بعد ما بلغ المرام واطاعه
الخاص والعام ووقعت هيئته في قلوب الانام فدارت بقدمه البشائر
وقامت الافراح وابتهجت المشائر

الباب العاشر

في ذكر من قدم على ابراهيم باشا بن شعراء العصر وقدم
له المدايح والتهاني في نوال هذا النصر

فلما قدم ابراهيم باشا الى قطر الشام قصدته شعراء الزمان
من كل جهة ومكان وقدموا له المدايح والتهاني فمنهم الشيخ
ناصيف اليازجي اللبناني شاعر زمانه وعلامة عصره واوانه فقال
يمدحه بهذه القصيدة ويهئ به تلك الانصارات السعيدة مستفتحاً
بذكر حضرة الخديوي صاحب الاوصاف الحميدة

يا فاتح القطرين انت محمد	هل دون فتحك في البلاد مسدد
انت العلي كما يقال ونسله	منك المعالي لم تزل تنول
سدت البلاد بهمة نبوية	فالأرض دارك والخلائق اعبد
واتبتنا باسم النبي وصهره	وغزوت غزوها على ما تعهد
جبل بمصر الى الحجاز وظله	لحق الشام وظل منه الأبعد
لو كنت تنهر ارضهم تزلزلت	ولو ازدد جرت اليل اوشك يحمد
يا سيداً عرف اسمه بالرفع لا	بالخفض والتنوين انت المفرد
بك يستعين الجيش حيث رميته	بدرا واياك العصورم تعبد
لما بعثت من الكنانة سهمها	حلفت عليه انه لا يصرد
ما زالت النار التي وقدت له	برداً عليه وناره لا تبرد

من مثل ابراهيم الا سيفه
 كالسيف الا انه لا يقي
 ملك يخاف الله ليس بجاسر
 يا ايها القمر الذي من حوله
 اريت ما اجري عدايتك همة
 ولي العدو يكاد يسبق مهمة
 اخذ الصحابة بعضها وتخلفت
 لو كنت نصفي لاستممت نوادبا
 ارسلت قبل الجيثر جيش مهابة
 فاثبت مكانك وابعث اسمك بعدها
 واقعد فمريت حصون عكاه التي
 الله اكبر ليس دونك قلعة
 خافت جبال الارض منك وقدرات
 وتحصنت منك الا وود فلا تلم
 األت عبد الله ان قلعه
 امسى يشدد قومه فغدا ومن
 لما صررت به اسيراً خائفاً
 لا حـ دونك في المكارم والعلی
 فالقلم الا عن طباعك يقي

يوم الكريمة والقنا المتأود
 حذراً ونحسب انه لمخلد
 وتخاف سطوته الملك وتحسد
 شهب الصواعق والسحاب الاسود
 سبقوا ولكن في الفرار واجهدوا
 ويود لو اكل الطريق فينفد
 منها رجال في البقيعة مسجون
 في الترك تدب اهلها وتعدد
 جيش العدو لهولة يتردد
 وكفى القاتل به وانت موسى
 كانت هيبتها الفرائص ترعد
 تحمي ولا حصن اشم ممد
 هذى النعال بمثلها تتردد
 قوماً باغلاق الحصون استعبدوا
 ورجاله وفؤاده المتوقد
 المواءم يقي تراه يشدد
 خشعت له ابصار من يتفقد
 وعسى البقاء عليك ليس يحدد
 والعود الا عن جنابك احمد

وقال أيضاً مودرخاً فتح عكا

في فتح عكا برد نار معاطب دار الخليل وللدبار به البكا
راس الثمان واربعين بطيه ميثان مع الف فبارك ربكا

سنة ١٢٤٨

وكان قد اقترحها عليه الامير بشير ليقدمها الى مقامه
الخطير وهما بضمنا ثمانية وعشرين تاريخاً على وجه غريب
واسلوب عجيب وذلك يحصل من كل شطر من اشطرها على
طريق حساب الجمل ومن معجم كل بيت ومن مهملة ومن جمع
ما في كل شطر من المعجم مع ما في غيره من المهمل جارياً في
ذلك على الطرد والعكس في الحروف والسطور بين تقديم المهمل
تارة وتأخيرها اخرى والمخالفة بين الاعجاز والصدور وذلك من
الطرف المتكررة في هذه الصناعة والتاريخ الناطق لفظاً في مثل
هذا مما يدل على تمام البراعة ومن قدم له التهانى في هذه الفتوحات
السعيدة والانتصارات الجيدة الاديب الفاضل والحاتق الكامل
اللوزعى الذكى الشيخ امين الجندى فانه مدحه بموشحات باهرة
وقصائد نفيسة فاخره منها قصيدته اللامية التي ذكر فيها فتوحاته
الشامية وهي من ارق الشعر والطفه واجود النظم واظرفه كثيراً
ما تلجج الناس بأيرادها وتعني في غالب الاوقات
بانشادها

ومطلعها قوله رحمه الله تعالى

خرج اخا البأساً نحو بني العلا
 وابسطا كف رجاء كسرك عندهم
 ودع الشعب من شجاعة من مضى
 وزن الرجال فان في افرادها
 ان قيل ابراهيم جاء محارباً
 هو سيد الوزراء درة مقدم
 في حكمة ترمي الضواري والظبا
 فاق الزوائل سودداً ونخامة
 كم مكرات قد ازال وجودها
 لا عيب فيه سوى اثبات وانه
 ذوهمة دلوية لو صادمت
 قامت وبامة عكة من يأسه
 بامفع ما ان لها من دافع
 تنسيك براء والضير وخيراً
 لو شام حر لحيبها اسكندر
 ووزيرها المدعو بعبد الله قد
 والى دمشق الشا سار بهمة
 برزت جميع جنودها لقائه
 وانتم ثرى اعتبارهم متذلل
 واجر الدروع على الحدود توسلا
 من قبل واترك عامراً ومهلاً
 من لا يزان بانف ليث في الملا
 سقطوا وان كان الكلام تقولاً
 واجل من بالمكر مات تسربلاً
 وبعده اضحى الزمان مجلاً
 وسما الاواخر رفعة وتفضلاً
 عنا ولم من باطل قد ابطل
 يلقي الكتيبة وحده والجحفا
 في الحرب طوداً شامخاً لتزلا
 واحاط من كل الجهات بها البلا
 وقنابل تحكي القضاء المنزلا
 وحروب مكة والبسوس وكربلا
 لانك محكم سده وتفصلاً
 امن الردي ولارض مصر ارسل
 ومواكب وكتائب لن تصطلاً
 فهناك جسد بفتحها واستعجلاً

حتى اذا طلبوا الامان اجابهم
 وسرى الى حصن ليقيم من غدا
 وبها العساكر والدساكر قد حكت
 زحفوا اليه كالجراد فاذبروا
 ذهبوا بصاعقة المدافع فانشوا
 فترى الحكمة ممددين على الثرى
 والى حمة الشام سار وبهمها
 حتى اتى حلباً فلم ير منهم
 اضحت طعاماً للطيور لحومهم
 والعز في العرب استنار مناره
 فاقام في تلك الرحاب ولم يزل
 ومنهم العالم العلامة والاديب الكامل القهامة المعلم بطرس
 كرامه فانه مدحه بهذه النصيده الباهرة والخريدة النفيسة الزاهرة
 معرضاً بها بدمع جناب ابيه العظيم

عزير مصر القاهر

فتح به الفتح القريب ووكد
 والدهر بعد الغدر اصبح واقفاً
 والعز اشرق في الديار مبشراً
 ما الجهد الا بالخصام ولم يدم
 وكواكب النضر المين توقد
 يثني عليه بالجميل ويحمد
 دفن العلي والسعد جاء بغرد
 شرف الفتى ما لم يصنه مهند

يا يوم عكة لم تدع ذكراً لما
يوم به الحرب العوان تضرمت
رجمت بشهب كراتها الاسوار من
ورمت بصدر بروجها قتل القضا
فخال والهيجاء تلهب حولها
سبقت اليها الصبح اسد عرينة
من كل اروع قد تعود في الوغى
وتراه باسم الكفاح كأننا
وثبوا على الاسوار ثم تسنموا
وتجلى القوم العداة وانما
نثروا جماجمهم ولم ينعمهم
وجرى النجيع على الطلول فخصبت
امست خلاء قد تحمل اهلها
مهتوكة الاسوار تشقى بعدان
عذراء تخطبها الملوك ولم تول
حتى اتى وافترض منعة عزها
مولى تعود فتح كل محصن
سل اهل نجد والحجاز وسل بني
فتح المعافل والحصون وقادها
عبر الزمان به وما يستجد
بقنابل مثل الصواعق ترعد
لهب فذك الشامخ المتوطد
تلك المدافع فهي طوعاً تسجد
نار الجحيم بجورها تنصعد
وبغير صبح حرايم لم يبتدوا
اخذ الكفاة وما يقول السيد
ورد الحمام لديه نعم المورد
الابرار والسيف الصقيل مجرد
لم يجدهم عند العراك تجلد
من سيف اجناد الجهاد مشيد
كف العالم والصعيد مورد
وبذاك خيرها القراب الاسود
كانت هي الحصن المنيع المسعد
بكرأ اليها قبل لم تمديد
بحسامه اسد ابوه محمد
والمرء مشغوف بما يعود
خيطان عنه والفوارس تشهد
بمواقع تذكاريه من مغل

سعدت به هذي الديار واخصبت
شهم لو اسم ابيه يتلى في الوغا
واذا تعاظمت الامور فلاحظه
لولاه ما سار الحجاج ولم يفر
امر الزمان بان يسالم اهله
فاضت يده بالنوال سخائباً
ملك تتوج بالهامد والثنا
ولقد غدا بين الملوك محمداً
ولما اراد الله من شرف به
ذو همه لا منتهى لمرامها
ويجل قدراً ان يقال غضنفر
وانارت الامصار شمس علائه
لا تجزي يا عكة من ذا البلا
ونخذي لك البشري فكيف نوله
ويفيض من مصر عليك جماله
اقسمت بالشرف الرفيع ومجده
لو ان تمام الذاخرات مدائحاً
لم تحص مدح ابي الخليل وانما
لا زال مسعوداً بصاحب جيشه

وباهلها تشفى الديار وتسعد
لغفرت اعداؤه وتبددوا
منه تحمل بها الامور وتمقد
بزيارة البيت الحرام موحد
فاطاعه فيما يروم ويقصد
هتائها صافي اللجين وعسجد
وبصارم النصر المديد مقلد
وعلي شأن فضله لا يحسد
باسمين سمى وهو نعم المقرد
وعزائم ترقى السماك وتصد
عنه فكيف ليث لديه شمد
فقدت تسبح عدله وتوحد
وتصبري فالיום يعقبه غد
ستميد حيك للحياة وترقد
فيجود ربك بالسرور ويهضد
ويجود كفيه ولحمته افند
منظومها بالازهارات منهد
بمدحه حتى النظام المنشد
نصر من الله عليه مؤيد

وبفتح عكة سيف ابراهيم قد قال المورخ ظافر وموعد
 فأجزل جوائزهم واحسن اليهم وافرغ حالي اللطف والاحسان عليهم
 قلت وقد تقدم البيتان الذان اقترحهما الامير بشير على الشيخ
 ناصيف ليقدمها الى مقامه السامي المنيف فلما بلغاه تحركت منه العواطف
 الادبية واخذت بعطفه هزة الاريجابية لما كان منطبعاً عليه من حب
 الفصاحة والادب وذلك على جمعه بين السيف والقلم شاهد عجب
 فارسل يطلب من الشيخ المذكور قصيدة على نسق قصيدة السيد
 شاكر النحلاوي التي مدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي فنظم القصيدة
 الالية وقد اودع كل بيت منها تاريخين وافتتح صدرها بحروف
 اذا جمعت امرت عن هذين

البيتين

انت الخليل وفي الاطلال يرد لظى اضلال عكاور رفض الرعب والخذر

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

كن بالغاً اوج سعد ما به ضرر او غالباً لم يزل في اول الظفر

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

١٢٤٨

وهما يتضمنان ثمانية تواريج في كل شطر تاريخان كأنهما فرقدان

نيران

واما القصيدة فهي قوله

ازهر تبسم نوراً عن افاحيها اذا بكى من سحاب الفجر باكيها

نور الافاعي الذي ما بالحياة به
 تلك الربوع لليلي اين مربعا
 ادماه نجني على الاكباد قاسطة
 ليلي ولي شوق قيس في محبتها
 خال لها عمه ورد بدا حرماً
 لله مقلتها السوداء صائدة
 يقول قومي رويداً قد ستمت هوى
 لعل صافي نسيم من خمائلها
 وبني رفاق ليال في التقاء وف
 في جنة حورها تزهو بنا وبها
 يهزني ذكرها وجداً فاعلمه
 اسأت كتم الهوى والعصب كيف له
 ليس الهوى نجني عند وادعه
 استودع الله صبراً ما امارسه
 طاب الهوى والضنى واللوم لي قدمي
 ليك يا لحظها الجاني على كبد
 ان تعف طوعاً فان العفو لي ارب
 ليت الصبا عاذلي بعد المشيب على
 بكر محبته لا تنجلي لحبا

من سحرة وصفا عز منشيا
 عن قصده وسيوف العرب تحميا
 تبارك الله ما احلى تمنيا
 فشمعه جئون شاء فيها
 في وجدة حيت عن يانها
 قلوب عاشقها والقرط راعيا
 فقلت مهلاً غافي من زاسيا
 اتى يوب على روعي فيشفيا
 يرض الاله فما انا ليا ليا
 لو كان يصغر خلودي روايا
 جرحاً وروحي تراه من معانيها
 ستر وادعه قد دل واشيا
 فكيف نأشره بطوه تموجها
 ومهجة عن حسان لست احيا
 اسر في بالله في حي اهليا
 سالت اسي في الهوى لولا تاسيا
 اولا فريخان روعي في تقايا
 شرط الوفا وهو ادنى من تجليا
 حتى من النجم حتى ما يلاقيا

راق الدلال لها والذل لي ابدًا
دمعي ومبسمها الدراثمين صدى
لما رأت جد وجددي في محبتها
ظن الجهول الهوى سهلاً لو ألجمه
يرجعه غزل عين جاء حائكه
ان العيون التي بانث لطائفها
طلاسم سحرها المرموز طالعة
لواحظ لمن في زى الجداد لكي
الناهات البواكي البكيات فقد
لولا سواد لها ما ابيض فودي عن
حسى الذي يصدود جاء بامرها
كل الجراحات مشفيتها الدوا سوى
الى العيون التي في طرفها حور
وبلاء من زينها تاء تطيب به
روحي وعني فدى عين مطهرة
فهي الجميلة لكن بين عاشقها
ضاع الزمان وطال الوجد والسني
اشابني عنها قرباً فازهداها
للشيب انفع طب في الفتى نبأ

ولم يرق كأس وردي من تدانيتها
لمهجتي فبصير القلب ارويتها
قامت بسماء هزل عينها تيتها
مهلاً فقد تاه جهلاً او عى تيتها
يحبك برد الضنى حلواً لها ويتها
لها خفاء معان ليس ندرتها
اشكاله في سطور حار قاريتها
يرزن حزناً على قتلي دواميتها
كفت عقول البرايا عن معانيتها
شبي ولا احمر دمعي من نهاديتها
يحينه ظلماً هدي فبينها
جراحها اين حلت فهي مشفيتها
عهد الرماية رقاً من محبتها
فلا شفيها بعق من دباحيتها
ومهجة للتي بالنفس افديتها
والصبر جور قبح من تحافيتها
ولم يقصر سباق في تصابيتها
وعيرتني بشيء جاء من فيها
بما يوافي وترهياً وتنبيتها

رأس يصفده نامي الصبا عبثاً
 عيش قصير طويل الرغب أعدته
 برق المنا حلب الا اقل صبي
 والناس من يشتهي ما المثل حاصله
 اعوذ بالله من علم بلا عمل
 لو امة اوقفتني لا اطلوعها
 حلت لها النار دون العار في دول
 ذوني وما بي هل لوم يلم بها
 رماحكم يا كرام الحي لا تقفوا
 كل البلايا من الدنيا متى نزلت
 نار ونور متى قال التزال له
 بنى من العزيتا دون اعمدة
 اللوذعي العزيز الباسل الملك
 للسيف والرمح والاقلام قد ولدت
 غاز مهيب حسيب ماجد نجب
 اقواله خطب افعاله شهب
 احبي المحامد مفداة مسلحة
 ورد ما مر من عدل الصحابة لا
 جرار خيل يحل الناس جانبها

بادهم الشعرة الذباب فامبها
 ما يقصر النفس قرباً نحو باربها
 نقر عين به رصداً يسلمها
 ومن تقيه عداة فام داعبها
 ومن تدارك نفس كل راعبها
 ولا يحجب ضعفي ان اعاصبها
 من حاسديها بارض حال وادبها
 وقد ملكت وملت من اعادبها
 ولا ترعكم بلى جدت فواهبها
 بنا فيران ابراهيم تفنيها
 والجلود هات يدالم يلق ثانيها
 سوى قلانة له عزت مانيها
 الغازي الملا بيد حسبي اياها
 راحاته ونسوال تغابها
 صافي الصفات نفيس النفس ذا كبرها
 آراؤه قضب بالله حامبها
 ليس امواله تفنى وتبقبها
 يلهو بزهر ولا خمر يعاطبها
 والفتح والحنف عدلاً بين ايديها

على قوم عكاه حين اريد مشرقها
 عبد الخليل لعبد الله صار بها
 داس البلاد باذن الله يكسرها
 ماجت سراياه امجادا بساحتها
 احبب بأصيد تحكي الدهر همته
 بميد قدر عن الامثال ليس له
 هو الذي حج آل البيت جاء به
 ضل السعيرد وهاب السواد فما
 رسول حق نزال الحرب سنته
 رام للحجاز وسود الزنج ثم رمى
 الله اكبر هذا حال من جلس
 والحد لله لم تقصر بواكره
 غلاب ناد واجناد يعاهده
 احصى المني والتنا والحزم والكرم ال
 لا عقب الويل مصر او هو تاركها
 بحر وندر وليث لا يرد له
 ابو الفتوحات ام الحرب طاهيها
 له البلاد باشخاص العباد بما
 محمدي علي شأنه كسرت

والشام والترك لما اسود ناديا
 اسما وشبه اسمه راحت اساميا
 وتكسر السيف نزعا من نواصيها
 بقي وفيا وتبلى من يعاديا
 لكن متى ناب شر من يحاكيا
 شبه فما مدحه ما جاء تشبها
 بعد الذهاب جلي الطرق جاليها
 اهداه الا يعرق البيض واليها
 وفرضه الجد بالجدوى يواليها
 فيها القتال وام الزدم يرميها
 الايام فوق سروج الخيل يدميها
 في ما يقوم ولم تقصر مساعيها
 نصر قريب على لطف يماشيها
 اسنى وايات عدا لست احصيها
 هما فجود يديه جاء يغنيها
 امر وصمصامة سبحان باريا
 سلطان ساحات بر العرب واقيا
 اتى التلاد بما حاطت اقاصيها
 طوارق الزوع باسم منه ياتيها

يا يوم عثمان لم يقفل بياك
 زلت به قدم جات به مرحاً
 لسيف سلطان مصر شية انى ال
 فاق الثنا انك الدنيا وقاهرها
 يا فاتح المنصب الطاري ندى وردى
 اتيت فحولك احبي الليل عن عجل
 والله يشهد كم ليل سهرت بكم
 لم ياتها قبل الا شاكر عجباً
 لبقت صداعاً برأس راح يسلبه
 لم الق كنوا له ممن رفعت يدي
 ظل البديع لها عبداً يلم بها
 فانعم بها وهي فانعم بكمها
 راقى كادى معانك الحسان فما
 الا حقاً فلعون وهو حادياً
 فولت القهقري والجسم ينعيها
 بلاد حي بها ياسيف غازيها
 سعداً وحاكمها حقاً وقاضيها
 على الصدى والعدى يغلى طوارىها
 واقتل الخيل جواباً ازجها
 اجلو قيمة در رد جاليها
 وجئت بعد فاحدتي قوافيها
 وحبذا سلب ادواء تدلويها
 قبلا اليه فلم اهتم تنزيها
 وكل خطب سليم عند راقبيها
 جوداً ومعظمها جاعاً ومعليها
 ايات حق كخطر من مبانيها

سنة ١٢٤٨

فلما وقف على هذه القصيدة الانيقه وتأمل ما فيها من
 الالفاظ الرقيقة والمعاني النفيسة الدقيقة مع ما انطوت عليه من
 سلامة التركيب وحسن الانسجام وعددية الاساليب وعلى ما فيها
 من الصناعة التاريخية والالتزامات البديعية اعجب بها غاية الاعجاب
 ووقفت عنده مع الاستحسان والاستعذاب فانفذ اليه

عشرة الاف غرش وخاتماً من الياقوت الفاخر على ما
اعتاده من جبل المكارم وبديع المآثر

الباب الحادي عشر

في ذكر ما انجراه ابراهيم باشا في بر الشام من الترتيب
والنظام وما اتفق لحضرته في بيروت مع رجل
من ذوي البيوت وحسن معاملته لسيدي
المرحوم الوالد كفافي الله شر العدو والحاسد

ولما استقرت لابراهيم باشا ولاية عربستان نأدى بالعدل
والامان وضبط الامور والاحكام على احسن ترتيب واكمل نظام
واقام شريف باشا حكمداراً على مدينة دمشق الشام بأمر حضرة
الحديوي نحر الانام فعلا في البلاد شانه وارفع قدره ومكانه
وساعدته الاقدار ودانت له الاقطار واستقر عموم الاهالي بصبح
عدله المتلالي في ظلمات الليالي ومن اعماله المرضيه التفاته الى احوال
الرعية والبحث عن احوال الاحكام ونصرفات الولاة والاحكام بحيث
لا يراعون في الحق اميراً ولا كبيراً ولا صغيراً وكان اذا سافر الى
بلد لا يحب ان يدخله بالاحتفال وكثرة العدد بل متخفياً حتى لا يعلم
به احد ولم يكن يفرق في التأديب بين القوي والضعيف والحقير
والشريف ولا يراعي جانب احد في القصاص ولو كان من احبائه
الخواص ولذلك لم يكن احد من اجناده او اكابر رؤسائه وقواده

يتجاسر ان يجرد عن طريق الصواب بشي من انواع الظلم
 والارتكاب وهو اول من شرع من الحكام في جمع عسكر النظام
 في ديار مصر وبرز الشام فلم يكن يشكو منه انسان الا من هذا
 الشأن لان اهالي عربستان لم تكن معتادة عليه قبل ذلك الزمان
 وفي ايامه انتعشت سوربه وتمنت بالسرور والرفاهيه وذلك باذلاله
 بغاة الناس وجمعه سلاح الاهالي من جميع الاجناس واقتداره
 على المفسدين وقتله المردة المعتدين فعمرت البلاد وراجت الصنائع
 وتأسست المدارس والمطابع واخصبت الاراضي والاقاليم وارتفع
 حق الارملة واليتيم وكان الناس يهابونه لشدة بطشه وعرامة احكامه
 ولذلك انتشر العدل والامان في ايامه فان بعض التجار من اهالي
 المناصف والشحار ذهبوا يشترون غنماً من نواحي حمص وحماء
 فسطا عليهم قوم من العرب وسلبوا ما كان معهم من الفضة
 والذهب فحضروا اليه ومثلوا بين يديه وشكوا امرهم لدولته فأمر لهم
 بدفع المثل من خزينته وارسل واحداً منهم من ذلك اليوم دليلاً
 على اولئك القوم فحصل منهم ما سلبوه من الدراهم وادبهم بالقصاص
 الصارم فتأمنت الطرقات وتهدت السبل في جميع الجهات وانقطعت
 اسباب الفتن والحركات حتى لم يعد احد يتعدى على احد ولو
 كان من اكابر العمدة فكانت النعمة ترضى مع الذئب والخروف
 يبيت في حصن الاسد وكان مهيباً بهذا المقدار ومشهوراً في جميع

الاقطار حتى اذا ارادت المرأة ان تسكت ولدها الفطيم كانت
تهدهه باسم ابراهيم وفي تلك الايام اعترى الامير بشير ^{بأمره} بأبداده
وتأبده وطالت يده في ولايته وتشير حتى كان يحسب ان ذلك
الزمان كان اول حكمه على جبل لبنان مع انه كان والياً في الجبل
المذكور منذ خمس واربعين سنة وكسور ولكن كانت يده مغلوله
من مناصب البلاد فلم يكن يستطيع ان ينفذ احكامه على
حسب المراد لان مشير الاحكام في تلك الايام كان تارة لا يقدر
ان يعطيه قوة ليتقوى عليهم وتارة يستميلونه بالرشوة فينعطف
اليهم فلما تولى ابراهيم باشا الذي كانت ترجف الجبال من سطوته
وترتعد فرائص الابطال من هيئته انبسطت يد الامير هيبه هذا
الوزير حتى صارت المناصب واهل الجبل تخاف من خادمه اكثر
مما كانت تخاف من شخصه في الايام الاول
نادره

وكان ابراهيم باشا مع شجاعته وحسن تدبيره في ابواب الحرب
وبراعته ذا سياسة ونباهة وواسعة وله في ذلك نوادر كثيرة وحكايات
شهيرة منها ان رجلاً من اهل رأس بيروت مر ذات يوم على
الرميل واوغل في ذلك السهل فرأى في طريقه رجلاً مقتولاً في
تلك القفار فارتاب لمنظره وحار واخذته الرعدة والافشمار فرجع
على الامر وحدث المسلم بذلك الخبر وكان مسلم المدينة يومئذ

رجلاً علي الهمم موصوفاً بمكارم الاخلاق وحسن الشيم ممدوحاً
 عند الغائب والشاهد يقال له حسين افندي راشد فبادر باحضاره
 واستكشاف اخباره واذا هو رجل غريب ليس له في المدينة خليل
 ولا قريب فتألم المسلم قلقاً وكدرأ وتلهب قلبه غيظاً وشرراً وقبض
 من اهل راس بيروت على نحو عشرين نفرأ وسألمهم عن ذلك
 المقتول فقالوا ليس عندنا علم بشيء مما تقول فتهددتهم بالضرب الاليم
 والقائم في السجن تحت التعسيم وكان كثيراً ما يستحضرهم ويتهددهم
 ويسألمهم ويتوعدهم واتفق حضور ابراهيم باشا في تلك الايام من
 مدينة دمشق الشام فوقفه المسلم على واقعة الحال واخبره بما فعل
 من حبس اولئك الرجال فقال له انك بما فعلت قد اخطأت الغرض
 وركبت الشطط لانه من المستحيل ان يكون القاتل اكثر من رجل
 او رجلين فقط وما انت قد سمعت نحو عشرين رجلاً من اهل
 البلد من حيث لم يقع لك شبهة منهم على احد ثم امر باخراجهم
 من السجن واحضارهم الى ما بين يديه فاخرجوهم واحضروهم اليه
 فتأمل فيهم واستنطقهم وبعد ذلك اطلقهم واستدعى باحد الجاويشية
 واصحبه بخمسة انفار من الضبطية وقال له اريد منك الان ان
 تذهب الى راس بيروت من غير توان وتأتيني باصحاب الدكاكين
 والخانات الذين يبيعون المسكرات

فلمثل ما امر وفعل كما ذكر ولم تكن الا ساعة حتى جاءه

برجلين من تلك الجماعة فاختلفا باحدهم وقال له اصدقني بالكلام
 والا انتقم منك اشد الانتقام هل مر عليك منذ يومين او ثلاثة
 ايام بعض انفار ومعهم رجل غريب الديار فقال لا والواحد الاحد
 انه لم يمر علي احد ثم طلب الاخر وساله ذلك السؤال ونهده، بالمقال
 فقال نعم يا ولي النعم قد حضر الى دكاني منذ يومين عند المساء
 ثلاثة اشخاص غرباء فطلبوا مني طعاماً وفاكهة ومداً فاتيهم
 بالمطلوب من المأكول والمشروب واقاموا عندي ولعبوا بانقمار طول
 ذلك النهار ثم انصرفوا بالسلامة والامان وفي الصباح رجع منهم
 اثنان فقال له ابراهيم باشا لقد قلت الحق ونطقت بالصدق وانا اريد
 الان احضارهما اليك حتى اطلق سبيلك واصفح عنك ثم امر
 الجاويش ان يذهب معه ويعاونه في التفتيش فذهبا جميعاً ولم تكن
 الا ساعة حتى اتيا بهما الى حضرته سرعاً فقال لهما ويلكما اصدقاني
 اين رفيقكما الذي كان معكما في اليوم القلاني فلما سمعا كلامه وعرفا
 قصده ومرامه رجف قلبيهما وازداد رعبهما ولم يسمعها الا الانكار
 خوفاً من الهلاك واليوار ونزول الدمار فالتقيا تحت الضرب والمقاب
 ولما طال عليهما العذاب اقرا بأنهما قتلاه واخذاه ماله ودفناه فالتفت
 ابراهيم باشا الى المسلم وارباب الديوان ومن حضر في ذلك المكان
 من الاكابر والاعيان وقال لهم هذان هما المجرمان اليس كما ظننتم
 انتم فنجب الحاضرون من فطنته وقوة ذكائه ومعرفته فأمر بقتلهما

امام الجمهور وان يلتقوا في ذلك المكان الذي قتلا فيه ذلك الرجل
المذكور وكان ذلك الدكان الذي سكروا بها وقتل ذلك الرجل
بسببه يقال له دكان الزيدانية فامر بهدمه وتعطيله بالكلبه وبقي
مهدوماً معطلاً الى ان خرجت الدولة المصرية من بلاد سوريه
حادثه عجيبة ونادرة غريبه

وكان ابراهيم باشا كثيراً ما يطوف متكرراً بين الناس ومجالس
اصحاب الصنائع من جميع الاجناس فيسمع حديثهم وكلامهم
ويعرف قصدهم ومرامهم واحياناً يذم نفسه امامهم قاصداً بذلك
كشف اسرارهم والوقوف على حقيقة اخبارهم ومن غريب
الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق ما جرى لحضرته في بيروت
مع رجل من ذوي البيوت يقال له الحاج علي حصرم وكان
ذكياً بارعاً في الحديث والتكلم وهو الذي حدثني بهذا الخبر ونقلته
عنه كما شرح وذكر قال بينا كنت ذات يوم جالساً في دكاني
واذا بدرويش قد اقبل علي وحياتي وكان ملبوس القامه مهيب
المنظر وعليه حلة من الصوف الاحمر فرددت عليه السلام وتأنيت
بالترحاب والاكرام ودعوته تجلس فجلس بقربي وقد مال اليه
قلبي ولما استقر به المقام اخذ يبسطني بالكلام ويسألني عن احوال
الاحكام وتصرفات الولاة والحكام وقال انه قد حضر في هذه
الايام من مدينة دمشق الشام ثم اخرج من جيبه غليوناً صغيراً

وجعل يدخن به ويتأوه كثيراً وهو يتنهد ويستحسر مظهرًا
 على نفسه الحزن والكدر ويتوجع من قلب محزون ويقول انا
 لله وانا اليه راجعون فاستعظمت امره وشفقت عليه واستصغرت
 كبار الامور بالنسبة اليه وسأله عن حاله ومصابه وسبب
 حزنه واكتتابه فقال بالله دعني ولا تسأل عن حزني فانه
 شديد وخصمي عنيد فقلت اعلمي بواقعة الحال ومن يكون
 خصمك من الرجال عسى ان تجد لك عن يدي فرجاً
 ومن هذه الشدة خلاصاً ومخرجاً فان مصابك قد اثر بي
 وزادني كرباً على كربني قال خصمي هو ابرهيم الذي لا يمن
 على قلب سقيم ولا يشفق على ارملة او يتيم قلت له
 بماذا جاز عليك واوصل اذاه اليك قال كان لي اخ صغير
 كنت احبه الحب الكثير وكان عوفي وسندي واعز علي من
 ولدي اتخذه مني رغباً وجبراً وادخله في سلك عسكره
 غصباً وقهراً واضرم في فؤادي لهباً وجوراً وجعلني ابكي
 عليه طول الدهر وجزعني لوعة الحنسة على اخيها صخر فلما سمعت
 مقالته عذرتة واستعظمت حاله وقلت اعلم يادرويش الخير وقاك
 الله كل يومس وضير امد تكلمت بالصدق ونطقت بكلام الحق
 فانه رجل صارم وحاكم ظالم قد احرق صميم فؤادنا واخذ
 اكثر اولادنا وادخلهم في سلك العسكر وجعلنا نتحسر عليهم

وثم نسال الله وهو نعم المسوقول ان يتقم منه بحاج
 الرسول ويرفع عنا ضره ويكفيننا اذاه وشره وما زلت احادثه
 بمثل هذا الكلام واهون عليه الامور العظام واعلمن في ابراهيم
 باشا وادعو على حكمه ان يزول ويتلاشى وهو ينفع
 ويتعلم ويسمع كلامي ويتأمل حتى تغيرت حالته وارتاح
 واستبدل ذلك الحزن بالارتياح وبش بعد ما كان قد عيس
 وجعل ينظر في ويتفرس ولما انتهيت من هذا المقال التفت
 الي وقال جزاك الله عني خيراً ووقاك يوماً وضيراً لقد
 زالت الان كربتي وهانت علي مصيبتني ثم قال لانا لله ولا
 حول ولا قوة الا بالله من مصائب الدهر وبلاياه ثم نهض
 فوقف وودعني وانصرف ولم تكن الا ساعة من النهار حتى احاط
 بي ثلاثة انفار وقالوا قم يا فلان فان ابراهيم باشا يدعوك الان
 تخفق فواءدي واضطرب وقت لهم باللعجب ما هو الداعي لهذا
 الطلب فاني رجل فقير فماذا يريد مني حضرة الوزير فقالوا
 قم بالعجل ولا تسأل فزاد خوفي واحتسبت وقت معهم وذهبت
 وما زلتا نسير حتى وصلنا الى قصر كبير فادخلوني الى حجرة
 لطيفة تحتوي على تحف طريقة من القرش الفاخر وانواع الانسجة
 والحرائر التي تدهش البصائر وتذهل العقول والنواظر فوجدته جالساً
 في صدر المكان وحوله جماعة من الاعيان وقواد العساكر والفرسان

فتألمته بالعيان واذا به ذلك الانسان الذي دارني في الدكان وجري
لي معه ما جرى وكان فتقدمت اليه وقبلت الارض بين يديه
فقال اعلم يا فلان انه قد بلغني عنك الان من بعض الاعوان بانك
تظن في حكمي وتشكو من جورى وظلعي وقلت عني ما هو
كذا وكذا ونسبتي الى التعدي والاذى فاذا كر لي الان ما الذي
رايت مني من الظلم والعدوان حتى تكلمت بذلك الكلام المستحق
للعقاب والانتقام فانقطع ظهري وحررت في امري وايقنت بالهلاك
والدمار ولم يسمعي الا الاعتذار فوقعت على قدميه واخذت اثني
عليه وقلت ايها المولى الهيام ومن هو زينة الانام وقاج الوزراء
الفخام اني اسألك برب الانام الذي رفعك الى هذا المقام وفضلك
على جميع الخلق بالحلم وكرم الخلق ان تغفر مجملتك عني وتصفح
عما فرط مني لان عدلك مشهور وفضلك غير منكور فاللسان
يقصر في شرح الطافك والقلم يعجز عن ان يقوم بحقي اوصافك
ولا احد من الناس من جميع الاجناس الا ويشكر من حضرتك
ويثني على دولتك الا الدراويش الفقراء الذين اخذت اخوتهم عسكرياً
فانهم يشعظون ذلك الامر ويعدون من باب الظلم والعدو وليس
هذا يدل على ظلمك ولا على عدم انصافك وجور حكمك لان
هذا الترتيب والنظام قدسته قبلك ملوك الانام وهو من اهم الامور
المظام لقيام ناموس الرياسة وضبط امور سياسته لان الشوكة

والصولة وقيام قوة الدولة تحتاج الى العساكر والاجناد لحفظ راحة
العباد وصيانة الاموال والبلاد وبدون ذلك تختل قواعد الممالك
ويستطيل المملوك على الممالك وتقوي على الضعيف والحقير على
الشريف فيكثر النزاع والجدال ويعم الشر والنورال وليس من
يرد ولا يدفع ولا من يحامي او يمنع واما بوجود الرجال والابطال
فيستقر الملك وتنظم الاحوال وتسقيم امور الناس وتشتيد دعائم
السلطنة على اقوى اساس على ان الشعوب الافرنجية في الممالك
الاجنبية تود الخدمة العسكرية وتعددها من اكبر الشرف وتفضلها
على باقي المهن والحرف وتدخل فيها بالطوع والاختيار لا بطريق
الكره والاجبار املاً بالتقدم وبلوغ الارب والحصول على
الوظائف الرب بخلاف اهالي عربستان لانهم لم يعتادوا عليها قبل
الان فيرونها امراً عظيماً الشأن لداعي فرقة الاهل والخلان وابتعادهم
عن الديار والاطوان فيتوهمون الفرح حزناً وغماً ويرون العدل
جوراً وظلماً وان الذي سمعته عني لم يكن عن قصد مني وانما
كان جل المقصود تسليته ذلك الدرويش المهود وتعزيته عن حزنه
الشديد على فقد اخيه الوحيد وهذا الذي تم وجرى بتقدير رب
الورى حتى اتشرف بمقابلة جنابك ولثم ساحة اعتابك وقد تراميت
الان عليك وشرحت قصتي بين يديك لانك ولي النعم ونعم
سادات الامم وجميع الحكام عندك كالخدم وليس فوقك احد الا

الواحد الصمد فلا زالت ايامك في عز وانشرح وتوفيق ونجاح
 ما اظلم الليل واشرف الصباح فتبسم ضاحكاً من هذا الخطاب وقد
 اعجبه غاية الاعجاب ثم طيب قلبي وصفح عن ذنبي وامرني بالجلوس
 فجلست وانسني بحديثه فاستأنست وبعد هذا الحديث والكلام
 امرني بالرفق عني على سبيل الانعام وقال قد ازعمجناك الان فقم
 وادهب بأمان فددعوت له بطول العمر ودوام العز والنصر
 وخبريت من عنده مفسر صدر متعجباً من هذا الامر ولم
 ار في حياتي احلم منه ولا الطيب ولا اكرم خلقاً ولا
 اظرف

معاملة ابراهيم باشا للمرحوم والذي كفاني

الله شر عدوي وحاسدي

وكان ابراهيم باشا محباً لسيدى المرحوم الوالد والاب العزيز
 الماجد وهو بمقرب انما المشهور صاحب الفضل والصيت المشكور
 الذي كان من اكبر زمانه واوحد عصره واوانه وكان يزوره في
 اكثر الاحيان ويعامله باللطف والاحسان ويخلع عليه الخلع
 الحسان كما هو معلوم الخاص والعام من اهل بيروت وجز الشام
 وبهذه الوسيله ارتفع ابني بفضلها جاهاً وقدرأ واكتسب بصفاء انظاره
 شرفاً وتحرراً وكان مسموع الكلام مرفوع المقام عند الولاة والحكام
 مقصداً لحل المعاهد والمشاكل وكفياً لتلجئ اليه الايتام والارامل

وكان من جملة مساعيه الخيرية وافعاله الحميدة المرضية انه اطلق
 عشرة انفار من اهل بيروت من الخدمة العسكرية ممن كانوا
 فقراء الحال واصحاب عيال منهم احمد مرزا البيروتي وعبد الرحمن
 المغربي واحمد العانوتي واحمد طمطقي الدلال وغيرهم من الرجال وهذا
 حظ عظيم والتفات جسيم لم ينله غير والذي من مكارم جناب ابراهيم
 وهذه المعاملة الجميلة هي التي حملتني الى جمع مآثره الجليلة وتدوينها في
 هذا الكتاب وليبقى ذكراً لحضرته على مدى الاحقاب فلوراءه
 وتأمل فيه واطلع على ظواهره وخوافيه وتلا العبارات المتعاقبة
 بحروبه ومغازيه لاغنائي وبلغني المرام

ورفع رتبتي الى اعلى مقام

كتاب لوتلى ابراهيم يوماً صحائفه لبلغني مرامي
 واغنائي على رغم الاعادي ورقائي الى اعلى مقامي



الباب الثاني عشر

في تمرد دروز حوران واتقيادهم الى الطاعة

بعد المصيان

فلما استخلص ابراهيم باشا قطر الشام وصفت له الاليالي والايام
 كما تقدم الكلام ارسل الاوامر والمبشير الى الامير بشير يطلب

منه ان يجمع من الدروز الفأ ومئتي نفر ليدخلهم في سلك
 العسكر فامثل امره وبادر بالمعجل واستدعى اليه اكابر دروز الجبل
 وعين عني كل مقاطعة كمية من الشبان وامر ذوي المناصب وارباب
 الوظائف والمراتب ان لا ياخذوا من ليس له موضع ولا من
 يكون به علة او مرض وان يتخبوهم من ابن خمس عشر الى
 ابن خمس وعشرين سنة وحدد لهم في ذلك مدة مميعة فلما
 شاع هذا الخبر ونما بين الدروز وانتشر اثر ذلك في قلوبهم اعظم
 اثر فهاجت منهم الشبان واطهروا الخلاف والعصيان فغضب
 الامير من اعمال الدروز وقال لهم انكم تريدون ان تمصوا الحكومة
 وذلك لا يجوز فيلزم ان تطيعوا الاوامر والا دهمكم بالعساكر
 ونهب اموالكم وقتل اطفالكم ثم جمع الى بيت الدين جميع المطلوبين
 وارسلهم الى عكا بالقوة الجبرية امثالاً للاوامر السنية وهناك
 ادخلوهم في سلك العسكرية واتفق بعد ذلك بنحو عام ان ابراهيم
 باشا كتب الى شريف باشا والي دمشق الشام يأمره باخذ عسكر
 نظام من دروز حوران ووادي التيم واقليم البلان فاجاب بالسمع
 والطاعة وشرع في ذلك الامر من تلك الساعة فلما بلغ الدروز
 هذا الخبر زاد عندهم القلق والاضجر فاضهروا له التمرد والعدا وعدم
 الطاعة والانقياد فازداد شريف باشا عليهم حقاً وكدرأ وارسل لمعاربتهم
 عسكراً فلم يظفر منهم بمراد لانهم كانوا قد اتحدوا مع عرب

تلك البلاد وانضاف اليهم جماعة من دروز لبنان وسكان وادي
 التيم واقليم البلان وغيرهم من اهل البغي والفساد تحت راية
 الشيخ ناصر الدين العمدة حتى صاروا في عشرة الاف مقاتل بين
 فارس وراجل فكانوا يربطون مسالك الطرق وينهبون القوافل
 بين بيروت ودمشق ويقتلون من استغردوه من عسكر النظام ولم ينظروا
 في كل ذلك لعواقب الايام فلما رأى شريف باشا ما فعلوه ارسل اليهم
 عسكرياً آخر غاريب وهزموه وكانت دروز وادي التيم واقليم
 البلان ينجذونهم بالرجال والفرسان ولما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر
 استولى عليه الغيظ والكدر وكتب الى ابيه بمصر يعلمه بهذا
 الامر ويطلب منه ارسال عسكر من الارناؤوط بالمجمل لان
 عسكر النظام يتعسر عليه الحرب بالجليل فجهر له اربعة الاف مقاتل
 تحت لواء مصطفى باشا كامل وكان بطلاً هماماً وشجاعاً مقداماً فوصل
 في اقرب زمان الى عربستان وحارب الدروز في الوعة سنة الف
 ومائتين واحدى وخمسين من الهجرة وجرت بينه وبينهم عدة
 وقائع منكرة في تلك الاماكن الموعرة وكانت دروز البلاد ومن
 اشترك معهم في هذا الفساد ينجذونهم اولاً سرّاً ثم علناً وجهراً تحت
 راية شبل العريان وكان من فحول الفرسان موصوفاً بالشجاعة
 وقرة الجنان فغضب ابراهيم باشا بهذا السبب وكتب الى الامير
 بشير من حلب يذكر له ذلك الخلل الواقع من دروز الجبل ويأمره

ان يبادر في الحال بارسال حفيده الامير مجيد قاسم في جماعة
 من الابطال الى وادي التيم واقليم البلان لارهاب دروز لبنان
 ثلثا يسجدوا دروز حوران وان يرسل حفيده الامير محمود خليل
 الى حاصبيا على الاثر في الف وخمسة نفر ليقم في دار سرايا
 الاحكام مع عسكر النظام فاجاب وامثن وارسلها على عجل
 ولما بلغ الامير مجيد اقليم البلان اطلق الغارة على العصاة المجتمعين
 في ذلك المكان فهزمهم على اعقابهم واستولى على اسلحتهم بعد ما قتل
 منهم مائة وخمسين رجلا وملا قلوب من بقي خوفاً ووجلاً واما
 الامير محمود فنزل في دار السرايا بمن معه من الجنود وفي أثناء
 ذلك قدم ابراهيم الى حاصبيا للانتقام من الدروز وكان وصوله
 اليها في اليوم الخامس من شهر تموز وكان قد بلغ الدروز في
 بعض الايام انه قادمة ذخائر الى عسكر النظام من مدينة دمشق
 الشام فطمع الشيخ حسن جنبلاط بنهبها وارسل خمسة نفر لاختضاها
 وسلبها فالتقوا بها في بعض الطريق وكانت عدة صناديق من البارود
 والدقيق فلما ابصروها انقضوا عليها واستخلصوها وانفق في ذلك
 الوقت قدوم مصطفى باشا من الوعة بالعساكر فالتفاهم في الطريق
 واستخلص منهم الموءن والذخائر فلما بلغ الشيخين هذا الخبر بادر
 الشيخ حسن على الاثر وقصدهم والشيخ ناصر الدين بمائة وخمسين
 ولما اشرفوا على المكان المعهود اطلقوا على مصطفى باشا نيران البارود

وعلا ضجيجهم كاصوات الرعود فاستقبلهم الارناوط بقلوب
كالجبال واشتد بينهم القتال واخذت نيران الحرب في الاشتعال
حتى تزلزلت من ضجيجهم ارض وادى النيم وكان الرصاص يتناثر كالبرد
ودخان البارود غطى الافاق كالغيم واستمر القتال بين الفريقين
نحواً من ساعتين وكان ابراهيم باشا يومئذ في حاصبيا بالقرب
من ذلك المكان فلما بلغه الخبر نهض مسرعاً بأربعمائة مقاتل من
الفرسان ولما وصل الى ساحة الممعة ورأى تلك الاحراب الملتحمة
اطلق عليهم النار الدائمة وامر العساكر ان تبادروهم بالمهاجمة فاطبقوا
عليهم من كل جانب وحملوا عليهم كالسلاهب وضيّقوا بهم المسالك
والمذاهب واخذوا يذبحونهم كالغنم ويقطعونهم تقطيع لحم على وضم
فقتلوا منهم ستمائة وعشرين وثل من جملة المقتولين الشيخ ناصر
الدين ولم ينج من اصحابه سوى خمسين واما الشيخ حسن جنبلاط
وممن يني معه من مشايخ الارهاط فلما ايقنوا بالعطب وعلموا ان
لا نجاة الا بالهرب ولوا بكل خفة وسرعة وفصدوا قرية ^{شبعه} شبعه
فدهمهم ابراهيم باشا في ثاني الايام بمجموع الارناوط وعسكر
النظام فانقلبوا على اعقابهم بطلبون الفرار وقتل منهم جملة
انفار وفر شبل العريان بمائة فارس الى حوران ودخل المصريون
الى القرية فنهبوها وقتلوا من وجدوا بها من العصاة واحرقوها
ولم يبق من اهلها الا من كان طفلاً او نائحة تصرخ صراخ

الشيكل ثم احرقوا بعدها اكثر القرى وتركوها عبء لمن يرى
فندمت الدروز على ذلك الراي الوخيم ولم يعد يمكنها الا
الانقياد والتسليم والامثال لاوامر ابراهيم ولما يشى شبل
العربان من بلوغ الوطر ورأى نفسه عرضة للخطر ندم على سوء
عمله وايقن بحلول اجله فخصر في جماعة من الابطال الى ابراهيم
باشا صاحب السعادة والاقبال فاعتذر اليه ووقع على قدميه
ملتصماً منه الرضى والعفو عما مضى فتعطف عليه بمراحمة وصفح
عن جرائمه وغمره في بحر كرمه ونظمه في سلك خدمه وجعله
قائداً على الف فارس من الهواري فاكتسب نفراً واعتباراً
وتحسن احواله بهذه الخدمة وصار له بين الناس منزله
وحرمة



الباب الثالث عشر

حرب نوب

وفي سنة ١٢٥٥ هجرية الموافق سنة ١٨٣٩ مسيحية
صدرت الاوامر السلطانية الى حافظ باشا ان يستجهز في
الحال ويسير بالرجال والابطال لاستغلاص بلاد سورية من
يد الدولة المصرية فامتثل الامر المطاع وسار على قدم الاسراع

في سبعين الف مقاتل بين فارس وراجل قاصداً عربستان من
 غير توان ولما بلغ ابراهيم باشا البطل المغوار والاسد الكرار قدوم
 هذا العسكر الجرار استعد لحربه وقتاله وزحف بالرعين انفاً من
 رجاله وابطاله لملاقاته واستقبله وما زال سائراً بهذا الموكب حتى انتهى
 الى نرب وهو سهل فسيح الرحاب بين براجيك وعين تاب
 وكان وصوله الى ذلك المكان يوم الخميس الواقع في الرابع والعشرين
 من حزيران فنزل على شاطئ نهر بقرب معسكر الانراك ولما ضربت
 الخيام واستقر به المقام اصار الاوامر الى قواد العساكر بان
 يكونوا عند الصباح مستعدين للحرب والكفاح ثم استدعى
 برجل كان يركن اليه ويعتمد في كشف الدسائس عليه يقال
 له سليمان وكان قوي الجنان فصيح اللسان ناجحاً في قضاء
 الحاجات عارفاً بأكثر اللغات لا يبالي بالاهوال والمشقات يذهل
 الالباب بعذوبة الخطاب ويسبق الطير بسرعة المسير
 فامر ان يتأهب ويسير ويتجسس احوال تلك الجماهير
 ويميز قوادهم وعساكرهم وينظر بعين فراسته امورهم واوامرهم
 وبأتية بحقيقة الخبر قبل طلوع السحر فاجاب وامثل وسار على
 عجل قاصداً تلك العساكر كانه الطير الطائر حتى وصل الى
 مضاربهم واختلط في مواكبتهم ثم قصد الصيوان الكبير
 الذي برسم التوزير وبعد ان اختبر الاحوال ووقف على

حقيقة الحال رجع على الاثر واخبره بما شاهد ونظر من
 احوال القوم وحرركاتهم وكثرة ذخائرهم ومهماتهم وما هم عليه
 من الاستعداد والنأهب للحرب والطراد ثم قال له في اخر
 الكلام اعلم ايها البطل الهام اني رايت حافظ باشا في
 الحصون وهو جالس على الديوان كأنه ملك او سلطان
 ومن حوله القواد والاعيان وفي يده اليمن ماسورة من الياسمين
 عليها طقم من الكهرباء الفاخر مرصعاً بنفيس الجواهر وبينا
 انا اراقب احوالهم واسمع خطابهم ومقالمهم اذ حضرت الخدام
 مائدة الطعام فكانت عدة انواع فاخر واجناس متكاثرة
 اكثرها من حوم الدجاج والضأن والخلويات المختلفة الالوان
 ولما فرغوا من الاكل والشرب اخذوا يتفاوضون في امر الحرب
 وقد عولوا عند الصباح على القتال والكفاح وهم يوملون
 بالنصر والنجاح فلما انتهى من شرحه وخطابه تبسم ابراهيم
 ضاحكاً من وصفه واطنابه وكان عنده جماعة من اكابر
 قواده واصحابه قد اجتمعوا للمشورة والكلام والمذاكرة في امر
 الحرب والصدام فقال لقد صدقت فيما وصفت ونطقت ولا اكلمت
 واخبرت الا بما سمعت ونظرت وعانيت وابصرت ولكني اسألك
 يا سليمان بحضور هؤلاء الاعيان اما وجدت بينهم وزيراً او
 قائداً كبيراً يفتش الارض سرياً وينام تحت ظل الشمس والقمر

ويسند رأسه على حجر ولا يبالي بالمشقة والخطر ولا بانواع
الطعام المفتخر ان غاب او خضر فقال وحق الواحد الاحد اني ما وجدت
ولا واحد وما هم الا كالعرائس يتقلبون في صدور المجالس في
انحر الخلل والملابس على صدورهم النياشين المرصعة وبين ايديهم
الاطعمة المتنوعة وهم جالسون في الخيم ومن حولهم الخواشي والخدم
فلما سمع كلامه زاد ضحكه وابتهامه وقال له اذا كانوا على
ما نقول فسوف نبلغ منهم المأمول ونفرقهم عند طلوع
النهار بين الروابي والقفار ابعون الواحد القهار قلت وما كان
قصده بذلك السؤال ان يقف على حقيقة الاحوال لانه كان
عارفاً بمخالم عالمنا بصفاتهم وخصالمهم وما هم عليه من الدلال
ورفاهة الحال ولكن كان جل قصده ومبراده ان يشجع
قلوب جنده وقواده على الحرب والقتال والثبات في ميدان
النزال ولم تكن تلك الاوصاف البديعة والمناقب السامية الرفيعة
من علو الهمة ومكارم الشيم والجود والكرم الا فيه دون
باقي الامم لانه كان من عجائب الزمان وافراد العصر والاولان
ذو سعد واقبال وهيبة وكمال عديم المثال بين الرجال خبير
بامور الدهر كثير الجلد والصبر لا يمل ولا يضجر ولا
يهاب الموت الاحمر وكان مع هذا البطش والاقدام وعلو
الجاه ورفعة المقام لا يكثرث بالطمنطنة والعظمة ولا يبالي

بأنواع الاطعمة بل كانت يقع بما تيسر من طعام العسكر
 يدون ادنى التفتات الى معاطاة المشروبات ويواظب في
 اكثر الاحيان مع الابطال والفرسان على السهر الى وقت
 السحر فكانت تميل اليه النفوس والقلوب وينتصر في الوقائع
 والحروب ويقوز بالمقصود والمرغوب وكانت عند فراغه من
 هذا الخطاب الذي يبيع الشيوخ والشباب ويشجع الدليل
 الجبان على الحرب والطمعان وملاقاة الشجعان استحسنه القواد
 والاعيان ومن حضر في ذلك المكان غاية الاستحسان لان
 كلامه عنهم لم يكن عزواً واحتقاراً ولا وصفه لنفسه
 مباحةً وافتخاراً كما جرت عادة الجبابرة او بعض الملوك الظالمين
 في التهديد والوعد والوعيد ولم يتكلم الا بالواقع حيث حاربهم
 في جملة المواضع وهزمهم في عدة مواقع وكانوا ضعافاً في العدد
 واكثر في الذخائر والعدد ثم تفرقت الناس الى الخيام بعد
 هذا الحديث والكلام وبقي هو مع نفر واحد اسمه محمد
 ابن راشد كان في خيمته مختصاً بخدمته حدثني محمد المذكور
 قال لما انصرف الجمهور بقي ابراهيم باشا وحده ولم يكن احد
 غيري عنده فأخذ يتمشى في الصبوان نحو ساعة من الزمان ثم جلس
 على الطراحة ليأخذ لنفسه راحة فبينما هو جالس كأنه الليث
 العابس واذا باربعة مدافع اطلقها العدو من عدة مواضع فوثب قائماً على

قدميه وناداني فمثلت بين يديه فقال لي يا محمد ما هذا الذي تجود
 فقلت حفظك الله وابقائك وادام عزك وعلاك ونصرك على حسادك
 واعداك اتسألني هذا السؤال وانت اعلم بواقعة الحال فتبسم ضاحكاً
 وقال اني لا اسمع الا صوت حصي تدرية الرياح او حفيف شجر
 لعب به نسيم الصباح ولما طلع النهار وشعثت الشمس بالانوار
 قرعت طبول الحرب وتأهب العسكر للطعن والضرب وفي الحال
 انتشرت اليارق وخفقت الرايات والسناجق واصطفت المواكب
 والفرق ولمع السلاح وبرق وانقسمت الجنود الى اقسام وتقدمت
 الى امام واندفعت بسرعة واهتمام كأنها ليوث الاجام او صواعق
 النمام وكانت عساكر العثمانيه قد اقبلت بقلوب قويه وهم عليه وهي
 تموج في تلك البملاح كما بموج البحر اذا لعبت به عواصف
 الرياح ولما نادى العسكران واقرب الجيشان امر ابراهيم باشا ليث
 المعامع باطلاق البواريد والمدافع فاطلقت في الحال وانتشبت بين
 الفريقين القتال وتزلزلت الارض بالانزال ثم هجمت الجنود المصريه
 على الجيوش السلطانيه وانقضت عليها ككواسر العقبان او اسود
 خفان فالتقاها عساكر السلطان بقلوب القوي من الصوان واتخذت
 معها في الضراب والطعان وحيثما اختلطت الصفوف بالصفوف
 وتمكت في الاجسام الحراب والسيوف والتقت الميئات بالمئات
 والالوف بالالوف ودارت على القوم كوءوس الختوف وكان يوماً

شديد الاحوال تشيب من هوله الاطفال فيه كثر القتل والجراح
 وطارت الجحاح عن هياكل الاشباح باسنة الحراب وشغار الصفاح
 وغلب الفساد على الصلاح وحجب القنم نور الصباح وحامت
 ملائكة الموت على الارواح ونفق فوقهم غراب الين وناح وارتمت
 الارض من الضجيج والصباح واصوات البارود وقعقة السلاح
 قلله در ابراهيم باشا ليث البطاح وفارس ميدان الكفاح فانه
 خاض معركة القتال بقلب اقوى من الجبال وحكم سيفه في صدور
 الابطال واظهر بشجاعته العجائب والاهوال وفعل في ذلك اليوم المذكر
 فعلاً يعجز عنها ابو الفوارس عثر فتفتت بحملاته قلوب العسكر
 وانصبوا على اعدائهم كعارض المطر وعرضوا نفوسهم للخطر في سبيل
 الوطن واستمر القتال على هذا الشرح والوصف نحو ثمان ساعات
 ونصف وكانت قد كملت حكايا الاتراك ووقعت في سوء الارتباك
 وايقنت بالدمار والهلاك من تواتر الحملات وضرب السيف وطمن
 السنكات فتأخرت الى الوراء وتقهقرت في تلك الصحراء طالبة
 مرعش وتلك الاطراف بعد ان قتل منها نحو سبعة آلاف واسر
 حافظ باشا وزيرها ومدير امورها ومشيرها واستمرد المصريون على
 مهماتها وانقلها واستولوا على ذخائرها واموالها ورجع ابراهيم باشا
 خائفاً منصوراً وعدوه مدبراً مقهوراً وانتهى الى الاستانة خبر هذا
 النصر السعيد بعد ثمانية ايام من وفاة السلطان محمود وجلوس ولده



الباب الرابع عشر

في خروج الحكومة المصرية من اقطار سوريه بعد حروب هائلة
قويه وانتقال محمد باشا و ابراهيم باشا الى رحمة رب البريه
وكان بعد ان فاز ابراهيم باشا وانتصر في حرب نرب كما
تقدم الخبر ورفعت جيوشه رايات النصر والاستظهار وحل ما حل
باعدائه من السقوط والانكسار حذرت الدول الاfrنجيه ان يفتح
القسطنطينيه ويجلس على تخت السلطنة العثمانية ولذلك اتحدت
الدولة الانكليزية مع الدولة الروسية والنمساوية والبروسياية على ترجيعه
من تلك الديار اما بالطوع والاختيار او بطريق الاكراه والاجبار
فعمدوا في مدينة لندن جميعه في اليوم الخامس عشر من تموز
سنة ١٨٤٠ مسيحيه للبحث والمفاوضة بهذه القضية وبعد عقد
جلسات متعددة فرضوا عليه شروطاً واحكاماً مقيدة وامضى
بالمصادقة عليها كل من تلك الدول المشار اليها فكان جل ما
مطروحه وخفي ما استحسنوه وحرروه هو تقرير ذاك المهام الاعظم
والخديوي الاكرم الانم محمد علي باشا ذي الاخلاق الرضية على
ولاية الاقطار المصرية مع قسم صغير من الديار الشامية ويكون

ذلك من بعده لتدريته واواياه عهده وشددوا عليه في الكلام انه
 من بعد وقوفه عليها بمشرة ايام يستحب عسكره من اطراف بر
 الشام بلا نزاع ولا خصام فعند وقوف حضرة الخديوي على هذا
 الطلب الذي يستحق العجب عظم الامر لديه ولم يوافق عليه فما
 كان من الملوك المتحده والدول المحشده الا انها اتفقت مع الدولة
 العلية باشهار الحرب على الحكومة المصرية وارسلت الدولة الانكليزية
 سنة ١٨٤٠ مسيحية عمارة بحرية مشحونة بالاعساكر والمهمات
 الحربية الى اساكس سوريه تحت قيادة اللورد دوبرت ستافورد
 فحضر ببيروت المضرب الممهور فسلمت في الحادي عشر من شهر
 ايلول واما باقي النغور كطرابلس وصيدا وصور فحيث لم يكن
 فيها من الفلاح ما يقوه بحق الدفاع اضطرت ايضا الى التسليم
 بعد جهاد عظيم ولما استولوا على هذه الاساكس شحونها بالاعساكر
 والجحافل وفصدوا قلعة عكا الشهيرة ابتلك المراكب والقوات
 الكبيرة واطلقوا عليها مدافعهم وقنابلهم وكانت المدية تحاربهم وتناضلهم
 وجنودها تجد في نيل مراكز الجند والظفر غير مبالية بالاهوال
 والخطر واستمر القتال على هذا المنوال ثلاث ساعات بلا انقطاع
 ولا انفصال فانفق بامر الواحد الاحد والفرد الصمد وقوع كلة
 على جبخانة البلد فاحترقت في الحال وقتلت عدداً كثيراً من
 الرجال وبهذه الوسيلة ضعفت قواها وسلمت الى اعدائها وكان

حدوث هذا الامر الرباني في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني
 وحينئذ استولت عليها العساكر الاجنبيه ولما رات الحضرة الخديويه
 انها امست تحارب اقوى الدول الاورباويه سمحت عسكرها من
 الديار الشاميه بعد حروب عديده ووقائع هائله شديده وما زال
 محمد علي باشا في عزه ونفخه ونبيه وامره الى ان بلغ الثمانين
 من عمره فاعتراه مرض سرراوي احدث خالاً في فكره الذي
 كانت تضرب بصحته الاموال وتستمد به فحول الرجال وبعد ذلك
 بسنة انتقل الى جوار الملك العلام وكانت مدة حكمه خمسا
 واربعين سنة وعشرة ايام وكانت وفاته في اليوم الثامن من شهر
 آب سنة الف ومائتين وخمس وستين هجرية فتقطعت عليه القلوب
 حشرات وانسكبت لفقده العبرات وعظم ذلك على جميع اهل مصر
 وناحوا عليه نوح الحنساء على صغر فسبحان الهى الدائم صاحب
 الملك والجبروت والحمد الذي لا يغير ولا يموت وكان يلقب
 بالخديوي وجرى اللقب من بعده على خلفائه واولياء عهده وكان
 ابراهيم باشا صاحب الجاه والنفخ قد استولى بعد تنازله ابيه على
 احكام ير مصر وقد ذكرنا فيما تقدم مناقب هذا الاسد الغششم
 والخديوي الاعظم وما اجرى الله على يده من الفتوحات السعيده
 والانتصارات العديده فلما استبد يزمام الاحكام قام بتدبيرها اتم
 قيام فعامل الناس بالمعروف والكرم واصلاح بين المذنب والقوم

واقفى اثر والده في العدل وعلو المهمة ومكارم الاخلاق وحسن
 الشيم ومن يشابهه ابيه فما ظلم وكان حضرة مولانا السلطان عبد المجيد
 خان استدعاه الى سدته المنيعة وزيارة حضرته الشريفة فدخل
 القسطنطينية عام اربع وستين ومائتين والف هجرية فقابلته بالتبجيل
 والاكرام واحترمه غاية الاحترام وفوض اليه احكام الديار المصرية
 وخلع عليه الخلع السني ورجع بالغز والاقبال على احسن حال وانعم
 بال واستقر في ولايته الزاهرة ولوائح السعود في غرة جبينه ظاهره
 وما زال السعد خادمه والغز مصاحبه وملازمه الى ان ادركه
 الاجل المحتوم واستوفى عمره المعلوم وكانت وفاته في اليوم العاشر
 من شهر تشرين الثاني سنة الف ومائتين واربع وستين هجرية
 ودفن باحتفال عظيم بمصر المحمية وهو ابن اثنين وستين سنة رضي
 الله عن مساعيه احسنة وكانت ولايته احد عشر شهراً واثنا عشر
 العصر بكل قصيدة غراء فمن ذلك قول الفاضل الاديب والشاعر
 اللبيب نثر الادباء البارعين السيد محمد شهاب الدين

....

صبراً على ما قد مضى	اذ لا مخلص من قضا
كيف التصبر والمنا	يا ذات غضب منتضى
اودت بابرهم مذ	بلغ المقام المرتضى
واليه آل الامر في	حكم الالبالة وانقضى

فمضى وقلت موء رشحاً الله يرحم من مضى
فبكت عليه الناس من جميع الاجناس ونصبت له
الحكومة في القاهرة تمثالاً من النحاس واقامت ايضاً للحضرة
الحديوية تمثالاً في الاسكندرية رحمهما الاله الرحمن وجعل ذكرها
مخلداً على طول الزمان



الباب الخامس عشر

في مآثر حضرة الاميرة الكريمة والذرة البتية ذات
الفضائل العديدة والاراء الصائبة المستقيمة قرينة
ابراهيم باشا الفخيمة وجدة جناب ولي
النعم مولانا توفيق باشا الحديوي المعظم
ايد الله مجدها وتوفيها وجعل
السعد خادماً ورفيقها

انه اذ كنا قد استوفينا الان مناقب حضرة ساكن الجنان
ابراهيم باشا العظيم الشان فيليق بنا قبل ان ننتد بالكلام
في تراجم حضرات اولياء الامور العظام ان نذكر في هذا المقام
حضرة قرينته الرفيمة المقام المندوحة من الخاص والعام وما قد
خصها الله به من الكمال ومحاسن الخصال دون باقي النساء

(١١٨)
والرجال حتى يكون هذا التأليف مزيّناً بذكر اسمها الشريف
اذ انها قدينة ذلك الاسد وهي احق بالشناء والمدح من
كل احد لاني من جملة من غمرهم نداها وعمهم احسانها
ونماها فاقوا : هي تاج الخدرات وزينة النساء الموفرات وolie
النعم وسحابة الجود والكرم الجملة بحلل الكمال والوقار
المتصلة بها سلسلة الشرف والفخار صاحبة الجاه والاعتبار
الاميرة الجميلة خوشكار من باهت نساء الارض شرقاً ونسباً
وفاقت عليهن جوداً وحلاً وادباً كيف لا وهي زينة هذا
العصر والجوهرة الثمينة في مصر التي تعطرت بحسن
شمائلها الاكوان واقر بفضل دولتها كل انسان وشاعت
مكارمها في اقصى المدن والبلدان حوت اللطائف والظرائف
واجادت اهل الفضل والمعارف واوفتها المدايح والاشعار من
جميع الاقطار ومما قلته فيها ادام الله سمو معاليها وجعلها سرفاً مسلولاً
على قلب حسادها واعادها

باهت مآثرها الكرام	وتفردت بين الانام
وسمت على اقربانها	بالمجد في اعلا مقام
هي زينة العصر التي	في مصر مصباح الظلام
من يلتحي لجنانها	يخلى على نيل الرام
هذي وolie امرنا	وقرينة المولى الهمام

الشهم ابراهيم من	خضعت له اسد الاجام
الاوحد الفرد الذي	قد كان لاذنيا امام
قد كان افضل سيد	وابر من صلى وصام
ملك مهيب قادر	بطل عتيد لا يرام
فتح المدائن عنوة	بالحرب في حد الحسام
واذل فرسان المعا	مع في ميادين الصدام
واقعد اقر بفضل	ويطشه الدول العظام
يفنى الزمان وذكره	يبقى على طول الدوام
ان كان عنا قد نأى	ومضى الى ارض السلام
فاليوم انت مكانه	في مصر يا نبت الكرام
حزت المعارف والندى	والفضل من قبل القطام
ما قام مثلك في الوردى	بين الاسا من الف عام
في الحلم والكرم الذي	يزري بامطار الغمام
واللطف والحسن الذي	يزهو على البدر التمام
لا زلت في عز وري	جاء رفيع واحترام
ما لاح في اوج الملا	نجم وما ناح الحمام
وقلت ايضا ما نحا اياها	هذه القصيدة ومعرضاً بذكر اوصاف
بعلها الجليلة الحميدة	
تسامى نجرها بيت الكرام	فمازت بالملأ اعلى مقام

كريمة معشر من خير قوم	اهم شرف وعز في الانام
وقد فاقت نساء الارض طراً	بحسن الخلق والراي التمام
فلا عجب اذا افتخرت وباهت	جميع الناس من خاص وعام
ليس لعلها خضعت وزلت	اسود الحرب في يوم الصدام
هو ابراهيم من حاز المعالي	وقال المجد في حد الحسام
همام كان في الدنيا فريداً	وركناً في المهمات العظام
ولا زالت وقائعه المواضي	مخلدة على طول الدوام
وقائع لوراها الطفل يوماً	لشباب لهولها قبل الظلام
لئن يك غاب ذلك البدر يوماً	فأنت الروم مصباح الظلام
وانت اليوم يا خشكار كهف	وملجأ للضعيف المستضام
فلا زالت سعودك في ازدياد	وقدرك بين اهل المجد سامي

ومها مدحت واثبت عليها فهو قليل بالنسبة اليها لان
فضلها قد شاع وظهر وامتد وانتشر بين البشر كظهور القمر
الذي لا ينكره الا فاقد البصر وهي مع علو شأنها ورفعة
قدرها ومكانها متصفة بالالطف والانس ومكارم الاخلاق ووداعة
الفس محروبة من جميع الرعية مطبوعة على الخير وسن
الطوية فمن مشروعاتها الخيرية التي شيدتها في الديار المصرية
عدة اماكن لاجل الاحسان وجامع في غاية الحسن والاتقان وغير
ذلك من المشروعات احسان غيرة منها لاعانة المحتاجين

وشقة لاغاة النقرء والمساكين وجميعها تحت اذارة وكيل
دولتها ورئيس سرایة حضرتها سعادة الهام الاكرم والليث
القششم مصدر الحكيم وبحر الكرم ابراهيم بك ادهم الذي
استولى هذا المقام بعد اذقال خليل اغا الى رحمة رب الانام
ولا يخفى ان سعادة اليك المشار اليه خلد الله سوابغ النعم
عليه من اعيان اهل الادب متفرد في المعارف ولغة العرب
فصيح اللسان قوي الجنان محمود السيرة صافي السيرة
وكنيت قد تشرفت بمقابلة جنابه وشرفت مسامعي بالآلى درر
خطابه برفقة جناب الصابق الصادق والبر المير الشارق
اعني به الشاب الظريف والاديب الجيب اللطيف صاحب الرسائل
والنصايف الذي اعني بشكل وطبع الخاريس الشريف
واعاني على وضع هذا التأليف سني الهمة حميد الماثر والشم
عزله محمد افندي مكوي المحترم فانه من اعز اصحابه واجل
خلانه واحببه فوجدته انيساً اديباً وفي العلوم بجرأ عذيباً
تروق بطلعته الابصار والنواظر وتعتني بمذوبة الفاظه النفوس
والخواطر ومن العجب العجيب انه لا يصد احداً عن طلب لاسيما
من كان من اهل الادب فانه يردل غاية جهده واستطاعه
في قضاء حاجته فرجعت شاكراً من الطافه وافضاله متمجباً
من كثرة ادبه وفصاحه مقال فسيحان من اوجدته منرداً بين

اقرانه وامثاله

ومن يك مثل ابراهيم شهيداً تليق له المدائح والتهاني
 همام قد تفرد في البرايا بالظائف تفوق عن البيان
 جميل الخلق ذو فكر مصيب بكشف الغامضات من المعاني
 وقد جالسته فوجدت فيه ما أثر له يحصرها لساني
 وقلت لمدحه وانته بعيد الفطر حفظه الله بالنعز والفخر

على مدى اهر

بمدح جناب ابراهيم ادهم زعما شعري وقدرى قد تعظم
 هو البدر المنير بارض مصر وقهار العدى الميث الغشمشم
 اذا افتخرت كرام الخلق يوماً فكان عليه الراس المقدم
 فلم يترك لمن اليوم ذكراً ولا لريعة ابن المكرم
 اذا حصدت عزيمته بشيراً لئال وان لقي جيشاً فيهم
 فصل عنه العلوم وكل حبر غدا في علمه البحر العرمم
 وسئل عنه القوارس كيف ذلت لذيده وسل اعاديه فتعلم
 اذا طفت البلاد فلا تلاقى بالظف منه انساناً واکرم
 تباهت مصر فيه واستلوت معالمها وفيها الانس خيم
 الا يامن غدا للناس ذخراً ومصر احباً اذا ما الليل اظلم
 اليك قصيدة غراء وافقت تهني جنابك العالي المعظم
 بعيد القطر يا بدر المعالي تهني فيه بالافراح واسلم

ومما قلته في جناب محمد افندي المذكور ادامة الله بالعز
والسرور على مدى الاعصار والدهور

الله مكة زينة البلدان حرم الامان وكعبة الرحمن
بلد زهت في حسناتها وجمالها وبها كرام الناس من عدنان
احل المفاخر والفضائل والتقى واللطف والمعروف والاحسان
ناهيك منها محمد العلم الذي شاعت محامده بكل مكان
الاوحد الفرد الذي باعنى الورى بفعاله وسما على الاقران
هذا الذي خضعت له اسد الشرى وفوارس الهيجاء في الميدان
قمر بافق العهد يسطع نوره في قطر مصر و امرا الاكوان
بحر العلوم وصاحب الحكم التي تروها الحكماء عن انوار
الفاظه تسبي العقول واطفئه بشفي العليل وكربة الهيمان
نحت فصاحة فصاحة من مضى في الاس من قس ومن سبحان
يكفيه تصحيح البخاري منخرآ مع شككه بالضيعة والاذقان
لورمت استوفي مدح جنابه بتمامه نصرفت فيه زمانى
لا زال في جاء وعز بادخ طول الدوام على مدى الازمان
وقلت ايضاً الله بعيد البحر وقاه الله

نواب الدهر

نلت المحامد يا محمد والتمنا وبلغت من دنياك غايات المنى
والعيد زارك بالمسرة والها فتمن وانحر كل اولاد الزنا

الباب السادس عشر

في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديوي الثالث وذكر ما

جرى في أيامه من الوقائع والحوادث

هو ابن طوسون باشا بن محمد علي صاحب البطش الشديد
والقدر العلي الذي حسنت مبادئه ونشرت شمس معاليه وطابت
أيامه ولياليه فكان كما قيل فيه

راق الزمان	واسفرت أوقاته	عن طيب أيامه وصفو ليالي
والدهر	وافى بالمسرة والهناء	وغدا يشرنا بأحسن حال
والكون	قد سطعت أشعة نوره	مذلاح هذا الكوكب المتلالي
سعدت به الدنيا	وقالت ابشروا	بأنفيض من احسانه المتوالي
أكرم به من	دولة عباسها	قد جاءنا بالفضل والافضال

تولى احكام الديار المصرية بعد انتقال حضرة ابراهيم باشا
الى رحمة رب البرية سنة ١٢٦٥ هجرية الموافقة سنة
١٨٤٨ مسيحية

وكان قوي الجان فصيح اللسان موصوفاً بالعدل
والاحسان عظيم المهابة وافر العقل والاصابة عدل في الرعيه
وسلك الطريق المرضيه وكان يحب الابطال وصناديد الرجال
مغرمًا بالخيال الاصائل والافراس الكعائل وكان قد حضر اكثر
الوقائع في بر الشام مع جباب عمه ابراهيم باشا فارس الصدام

وقاتل فيها بهمة وعزيمة وفي أيامه جعل جمع العساكر بالمساواة
بدون أدنى محاباة بين رعاياه كل فتى بما يوافق سنه وعمره
حسب وقوع القرعة بالتحريم ساوى في ذلك بين المملوك والمالك
وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرقات الذين كانوا يمحرقون
في نواحي الشرقية وتلك الجهات وأصبح الناس في أمان في
ذلك المكان من شر أهل البغي والعداوة وكان الله سبحانه
وتعالى قد رزقه ملكاً كالبدور حسناً وجمالاً علي المنة كثير
الحكمة قد تفرد بفنون الأدب وشاع فضله في المعجم والعرب
وهو جناب الأمير إبراهيم الهامي صاحب الخلق الجميل والمقام
السامي الذي فاق على أقرانه بمعارفه وفصاحته لسانه وفيه يقول
شعراء زمانه

عام اتى بمسرات وأنعام	مبشراً بفضأ الملك الهامي
مبشراً لوزير ضام كوكبه	بطالع السعد يزدو نجمه السامي
خلاصة المجد وريح الملك رونقه	شمس المعارف افق السوادد النامي
له الهناء بعام كله فرح	ذي مبسم بوجوه الاناس بسام

وكان قد زار الاساتذة العلمية سنة ١٢٧٠ هجرية واجتمع
بالحضرة الشاهاية فانشرح منه السلطان عبد المجيد خان
فزوج به ابنته وغمره بجزيل نعمته ومن ذلك قول بعضهم في
حضرة

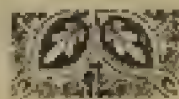
الهام باشا ادم الله دولته فريد عصر رفيع القدر والشان
 كم مشكل غامض عن عاقل فطن ابداه الهام الهامي باعلان
 بشراه نجل العزيز المصدر ارحه بالسيف ملكاً مشيراً صهر سلطان
 ثم رجع الى مصر بالعزيز واجاه والفخر وهو والد قرينة
 حضرة ولي النعم مولانا توفيق باشا الحديوي المعظم ادم الله
 لها مزيد العز والنعم وقبل الفراغ من هذه الترجمة يجب
 علينا ان نذكر حضرة السيدة الموقرة المعظمة وهي الاميرة
 الشهيرة ذات المكارم والمواهب الكثيرة غرة جبهة الزمان
 والحموة بكل شفة ولسان والدة الهامي باشا ساكن الجنان
 التي فاقت على اترايها بفضائلها واذليها وبزها ونوالها وصلاحها
 وكلمها وكنت قد سمعت بوصفها الحيد فقدمت لها نسخة
 بالخط من هذا الكتاب مع هذه القصيدة عن يد فخر
 اللوات واصحاب السادات وكيل دولتها ورئيس دائرتها
 سعادة احمد مظهر باشا بلغه الله من الخيرات ما شا
 وحي

الايمان حوت حسن الصفات	وشاع صلاحها في الكائنات
ومن اضحت بمصر اليوم ملجأ	وبدراً في الليالي المظلمات
ومن خضع الزمان لها وذلت	لهيبتها الاسود الضاريات
اليك قصدت عن ثقة لا هدي	كتاباً من نفيس مؤلفات

بديع الحسن لم ينشئه غيري من اادبا وسادات الرواة
 وقد زينته وجمعت فيه مآثر كالثجوم الساطعت
 مآثر من تولى تحت مصر من العظماء وافراد الولاية
 صرفت بجمعها زمناً طويلاً وكانت قبل ذلك في شتات
 فارجو ان يصادفه قبول ويحظى اليوم ملك بالانكفات
 فمن لسواك تقصد في البرايا وانت بمصر بحر المكرمات
 ملاذ الوافدين من اليتامى ونز الغاصدين من العفات
 تقر بفضلك الشعراء وتبي عليك الناس من كل الجهات
 فحاشا ان يغيب لديك راج ويشكو من صروف الازمان
 فلا زلت لاهل الفضل كهفاً على طول الزمان مد الحياة
 وامرك نافذ بين الرعايا ومجداك فوق دامي البيرات
 فصادف عندها القبول والاقبال وغمرني بجزيل الانعام
 والافضال حفظها الله تعالى وابقاها ومن حوادث الدنيا وقادها هذا
 وافي في غاية المصونية لصاحب الفتوة والحمية والهمة العلمية محافظ
 سراية دولتها ورؤس اغوات سرايتها جناب الاديب الماجد المتخلي بحمل
 الكمال والمحامد فيروزا المصطفى حفظه وصانه باريه الدسم فانه من
 اجل ادباء العصر وله يليق المدح والشكر واستقر حضرة عباس
 باشا بالولاية نحو خمسة اعوام ممدوحاً من الخاص والعامة الى ان
 ادركه الاجل فانقل الى رحمة الله تعالى عز وجل وتولى بعده

الهام الفريد صاحب الصيت الحميد والرأي السديد الذي خضعت
له ليوث اليد وزلت

لديه الفرسان الصناديد جناب عمر محمد سعيد



الباب السابع عشر

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديوي الرابع وما اجراه في
الديار المصرية من الاصلاحات والتقوائد والمنافع
هو الكوكب الباهر وبحر الكرم الزاخر ونهر الاوائل
والاواخر الوارث رتب الحمد كبراً عن ظبر والناهض برفع منيه لاعلى
ذرى النجوم الزواهر وفيه يقول الشاعر

تباهت مصر وابتهج الصعيد	بدولة من هو الملك السعيد
وماج النيل من طرب ولكن	به حسد له مما يحدود
هما في مصر رحمة كل ارض	بها يخضر في الارياض عود
عزيز قد تسلسل من عزيز	فكان لاصله الحمد الوطيد
فجدد مدحه اذ كل يوم	يجد لمدحه سبب جديد
علمنا انه سلطان مصر	وكل رجال مصر له عهد
ونعلم انه ركن عظيم	لملك المسلمين غنا يشيد
لقد سدت به مصر ونالت	بدولته السعيدة ما تريد
لكل الناس عيد كل عام	وفيها كل يوم منه عيد

تسلم زمام احكام الديار المصرية سنة الف ومائتين وسبعين
هجريه فوفق بالرعايا وعمل في القضايا وجرى الهمة السامية
والعزيمة الماضية في نجاح العباد وتزيين البلاد واقتنى في هذا الاصلاح
والنظام آثار آياته الكرام حتى صارت بهيمته المنيفة وحسن
مساعي حضرته الشريفة مستنيرة الافاق دائمة الاشراق وكان
جواداً كريماً عاقلاً حازماً حليماً وفي افعاله مديراً حكماً ذا حزم
وفراة ومعرفة باحوال السياسة وفضلاً عن بصيرته في الامور
السياسية له بصيرة عظيمة في علم العربية واللغات الاجنبية وهو
الذي زين طريق المنشيد وجعلها من المنتزهات البهية وانشاء
التفرقات والطريق الحديدية من مصر الى الاسكندرية وفي ايامه
تحسنت الاحوال وكثر الفنى وازدادت الاموال ومن مزاياه الحسان
تنظيم لائحة الاطيان الجاري عملها حتى الان قد اودع فيها جملة
روابط وبنود حسناً للنزاع فجأت طبق المقصود وهو الذي سن
الحفارة في البلاد لحفظ الاموال وسلامة العباد ورتب للخفراء
على الناس جامكه بموجب لائحة من طرف الحكومة السنية وهذه
الوسيلة حصل الامن والامان والراحة والاطمئنان في كل جهة
ومكان حتى صار المسافر يحول بماله وحشمه لا يخاف الا الله
والذئب على غنمه ومن مساعي حضرته وعناية دولته التي تستحق
ان تكتب بقاء القصة على صفائح الذهب المشروع الجسم والقصد

العظيم وهو وصل البحر المالح ببحر القلزم الذي كان شرع فيه الملك
 نبحو من الفراعنة والملك دارا من العجم قبل وقد كان سد في تلك
 الاحقاب لسبب من الاسباب ولما تملك الفرنساوية الديار المصرية
 سنة ١٧٩٨ مسيحية تذكروا في هذه القضية ذات المقاصد
 الخيرية فلم يتم لهم ذلك المراد لعدم مكثهم في البلاد واذ كان
 هذا الامر من اعظم الامور اهمية واعمها في المنافع والفوائد التجارية
 استدعى حضرته لهذا المشروع الحميد شركة الفرنساوية وصار ارسال
 صاحب الفتوة والحمية والارصاف السنية المهندس الشهير والحاقد
 النحطان الخبير موسيو دوليسس لينظر الاعمال على احسن حال واتم
 موال وبأجلة فان جميع اعماله محموده ومأره ظاهرة مشهودة لا
 ينكرها انسان ولا تحتاج الى دليل رلا برهان وكان مع هذه
 الاوصاف الحميدة والمناقب الجليلة العزيزة في غاية الرقة واللطف
 جامعا بين الناس والخرف ممدوحا محمودا جميل الخلق مسعودا
 سالكا بتقوى الله رب العالمين يحب العلماء والشعراء ويكرم
 الادباء والفضلاء ويمدحهم بهياته الوافرة وصلاته الجزيلة المتكاثرة
 وكان قد شرف بيروت المحمية سنة الف وثمانماية وتسع وخمسين
 مسيحية فكان لخلوله فيها يوم عظيم الشأن لم يسمع مثله من
 قديم الزمان ومما يستحق العجب انه كان حيثما ذهب ينثر في طريقه
 الذهب فكانت الناس تزدحم عليه وتلفظ من حواليه وتتعجب من عظمته

وفراط جوده وسخائه وتدعوه بطول العمر وتطلب في الثناء والشكر
وقد وصف فقال من شاهد تلك الاحوال

يسير والذهب المشور يتبعه مثل الساء ترش الارض بالبرد
فظنت الناس ان السحب قد فتحت بقدرة الله زاد الضرب في الجلد
وكان قد نزل خارج البلد في بيت الخواجات يسترس
وهم من التجار العمد ولما تناول الطعام واستقر به المقام اقبلت
عليه الشعراء وامتدحوه بالقصائد الغراء فمن ذلك قول الشيخ
ناصر اليازجي

قد اشرق النور في اكثاف لبنان اذ حل فيها الوزير الباذخ الشأن
هو السعيد الذي الطافه اشهرت كالصبح مستغنيا عن كل برهان
مهذب فلق في خلق وفي خلق كانه ملك في جسم انسان
له يليق بساط الريح في سفر لانه ليس ادنى من سليمان
يبست كل وزر تحت رايته طوعاً ويصبر اليه كل سلطان
وحينما حل حامت حوله زم كاله حام عليه كل انسان
لو تقدر الارض لما زارها فريحت قدامه الطرق من در و مرجان

وقال خليل افندي الحوري

بشرى انا هذا النهار سعيد وافي به يحبي الفوس سعيد
مولى له المجد الرفيع مشيد فوق العلى والعالون شهود

ومنها

شرفت بلدتنا فتاهت عزة وشراع عزك فوقها ممدود
وغدا حمانا زاهراً ولفغره في كل حي بالديار حسود
قد كاد يرقص بالسرور وانما هاب المعالي فاعتراه جمود
وقال ابو حسن افندى الكسنى

جاوزت بالصد حداً دونه العجب على المشوق ولم يعلم له سبب
ومنها

كيف الخلاص ونار الوجد قد لعبت بهجتي وتولى نحوها النصب
وليس لي حيلة ارجو النجاة بها الامدائح من سادت به الرتب
عزيز مصر سعيد الوقت ذو شرف الى علاه تناعى العبد والحسب
انا لنشهد منه كرم مكرمة لها المحامد دون الاس تنسب
عن وصفه ومزاياه وانعمه تقاصر الدر والازهار والسحب
ماثر العز في عليها مشرقة كالشمس لكن ساهها ليس يحتجب
وقلت انا العبد الفقير في مدح جنابه الخطير

هل غير بابك في البرية يقصد ام مثل فضلك في الخلائق يوجد
انت السعيد عزيز مصر وربها ومليكها الفرد القريد الاوحد
انت الهمام الماجد المولى الذى كل البرايا من جنابك تحمد
فقت الامائل رقة ووداعة وكرامة لك بالفضائل تشهد
ان قلت قبساً كنت اذكى فطاة او قلت حاتم انت منه اجود
ولقد حوت لطائفنا ومحامداً يفنى الزمان وذكرها لا ينفد

منها

شرفتنا فقزيت اقطارنا وزهت معالمها وطاب المورد
وتورت بيروت حتى اصبحت من نور مجدك كوكباً يتوقد
فشملهم بالاحسان والاكرام واجل عليهم ذيل الانعام واقام
في بيروت ثلاثة ايام في سرور وانبساط تام ثم رجع الى مصر
بسلام وبعد رجوعه بمدة قليلة افاض المواهب والانعامات
الجزيلة على اصحاب المنازل والبيوت الذين شرف دورهم في
بيروت وكانوا قد قصدوه ونالوا منه ما ارادوه فضربت بجوده
الامثال وما زال في ارغد حال انعم بال الى ان انتقل الى رحمة
رب العالمين سنة الف ومائتين وتسع وسبعين وكانت مدة حكمه
تقريباً تسع سنين وبقي ذكره مخلداً على صفحات الايام مدى الدهور
والاعوام ورثاه بعضهم بهذين البيتين تاريخ وهما

ذهب السعيد عزيز مصر طالباً عرش السماء فساد في الحالين
في تربة كتب المؤرخ فوقها قال السعيد سعادة الدارين
وكان قد رزقه الله ولداً ما ربت الدايات مثله ابداً لطيف الذات
حلوا الصفات متصفاً بالفضل والكمال والحسن والجمال عفيفاً ادياً
نجاعاً معيماً فصيحاً لبيباً وهو جناب طرسون الذي تفرد بالعارف
والفنون واشتهر بالجوود والكرم وعلو الهمم كاشتتار العلم وكنيت
عند زيارتي القبار المصرية سنة ١٢٩١ هجرية قد سمعت

بذكر حضرته ومآثر دولته وما خصه الله به من الاطراف
ومحاسن الاوصاف فتشوقت نفسي الى لقاء وتشرفت بطلعة روياه
وقدمت له نسخة من كتابي طبقات الشعراء مع هذه القصيدة
في مدح مناقبه الغراء معرضاً بها بذكر والده المرحوم
المعظم الذي برز من عرينه هذا الميث الغشيم
مهم حتى كعبه الامال والمدين والهج بمدح وزير المجد طوسون
هو الوزير الذي شاعت لطائفه من مغرب الارض حتى الهند والصين
رب المفاخر محمود المأثر قها ر الجابر في وسط الميادين
اقامه الله ركناً نستعين به على الخواص في امن وتأمين
تناول المجد ارتنا عن ابيه سعيد الذي كان ركن المجد والمدين
ذاك الخديوي الذي عمت مواهبه كل الخلائق من خاص ومن دون
ذاك الذي كانت الاساذ ترهبه وتخشى باسمه ثم العرائين
تجعدت فيه كل المكرمات وقد تزييت فيه مطري اي الزرين
يفنى الزمان ويقي ذكر دولته بخلد الاسم من حين الى حين
ان كان قد غاب ما نوره ومضى فقد اثار علينا نور طوسون
هذا وزير العلي المرفوع منصبه جاتها وديوانه صدر الدواوين
هذا الذي لهجت في فضل حضرته وفيض راحته كل السلاطين
هذا الذي دأبه الامان ومنفعة وجر قلب الشاكر والمساكين
يامفرد العصر في الخلف وفي ادب وزينة الدهر في حسن وتحسين

لا زلت للمجد ركناً غير منهدم موبد العزم في عز وتمكين
فلما آمن النظر فيها وتأمل في عبودية الغاظها ورقة معانيها
وقمت عناءه في حيز القبول وانعم علي بأحسن مأمول فشكرت
احسانه وفضله وتحققته جوده وبذله وعلمت انه من افراد الرجال
الذين خصهم الله بالفضل والكمال وبذل المال غير ان الزمان
الذي ليس له عهد ولا امان ولا يراعي مقام بل الجود والاحسان
قد جفا بحضرة الان ورمى القلوب من بعده باسم
الاحزان على طول السنين والازمان وكان لما بلغني هذا الخبر
شمعني النعم والكر وتأثرت كل التأثير ذفراً جوده وفضله الشهير
فرثيته بقصيدة من اجود الشعر احسن وانا يومئذ في الوطن
منها هذه الايات المستحقة بذكره التسطير واثبت

زال الهنا وصفا من بعد طوسون فأني قلب عليه غير محزون
قد كان بدرأ منيراً ساطعاً مضى فيا لبدر بطي الارض مدفون
وكان عوناً لنا في كل نائبة ورحمة لليتامي والمساكين
تعمده الله برحمته ورضوانه واسكنه في اعلى غرف جنانه
وعزى قلوب اهله وشملانه لاسيما حضرة زوجته الكريمة
والاميرة الرحيمة العظيمة السيدة فاطمة الفخيمة ذات المأثر الباهره
والمواهب الجزيلة المتفرعة من الدوحة الزكية الطاهرة التي قد
شاع في الافاق ذكرها وارتفع فوق السماكين نحرها صاحبة

المجد والاقبال ومعدن اللطف والكمال ومن يقول فيها لسان
الحال

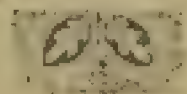
اميرة من ندا كفيها ماطرة محائب الجود والافضال والنعم
تحصى الرمال ولا تحصى مآثرها وعزها فوق هام المجد لم يرم
تفردت في الوري بالمكرمات وفي حسن الصفات فاضحت زينة الام
فانها كثيرة المواهب والصدقات ومن افاضل السيدات
المعظيات فضلها لا يحصر ولا يحد وجودها لا يحصى ولا يعد
حفظها الله تعالى وجازاها خيراً ولا اراها مكروهاً ولا ضيراً ولا
زالت كواكب السعود زاهره ومحائب الجود من ندى كفيها
ماطره ما شعث القمر وهب نسيم السحر وا اسأل الاله الرحمن
ان يديم لنا وجود الحضرة الاميرة العظيمة الشأن عمدة السيدات
المهترمات وكعبة المكارم والحسنات اللطيفة الذات الممودة
الصفات التي شاعت فضائلها في الكائنات وفاق بالمواهب
والمكرمات على كل من مضى وفات زوجة المرحوم المبرور حضرة
سعيد باشا المذكور اعني بها بدر الدجى وحصن اللجاء من اصبح
الدهر بوجدها مبتهجا وحماها كهفاً وملجأ لاهل الرجا السيدة
انجا فانها جامعة الصفات الجميلة والمآثر الحميدة الجميلة فكما لها في
الديار المصرية من المشروعات الخيرية والاثار الباهرة السنية الصادرة
عن حسن الطوية تكريم الادباء كما هو مشهور ومعلوم وتتفق

الاموال الجزيلة لنشر المعارف والعلوم وكت قد قدمت لجنابها
 المذموم نسخة من هذا التأليف بخط القلم مع هذه القصيدة عن
 يد وكيل دولتها صاحب الاوصاف الحميدة الامير المكرم والهيام
 المقدم سعادة عثمان باشا الانخير فاستمعتموها كل الاستحسان
 وعمرتني

بجزيل الانعام والاحسان

سل الفضائل يوماً عن مزاياها	واستغفر البدر عن اوصاف معناها
وسل جميع الوردى ان كنت جاهلها	تنبيك من قدرها العالي وتقواها
هذي التي بالثقي والحلم ليس لها	في الكون بين نساء الارض اشباها
فاقت على حاتم بالجود واشتهرت	بين الملوك عطاياها ونماها
فيها من اللطف اخلاق مهذبة	هيئات في غيرها يا صاح تلقاها
لورمت احصي سبحاها واحصرها	لما قدرت على ادراك احصائها
وهل لمولائي انجما من يائها	في - حزمها ومعانيها وجدواها
اميرة لم تدع في الهدم مكرمة	الا حوتها وباهت كل من بادا
نقية درة ذات مطهرة	من معدن اللطف رب العرش سواها
مربية في عيون الناس قاطبة	فالاسد ترهبها والدهر يخشاها
تهوى الدور لها طوعاً وتخدعها	مدى الدهور وعين الله ترعاها
لو شاهدت عزها بلقيس ما افتخرت	ولا زبيدة يوماً عند روه يادها
باهت بها مصر وايضت بطلعتها	سود الليلي وعم الغصب يداها

يا بهت خير كرام الناس من مهذب
 اليك سفيراً لقد اودعته شرفاً
 اعني السعيد الذي الدنيا به انتهجت
 اودعت فيه من الاشعار اجودها
 يرجو القبول لديك اليوم سيدي
 من راء عزاً ومجداً سامياً وغنى
 لا زلت كهنأ لاهل الفضل قاطبة
 وكعبة لبني الامل تغشاها
 هذا واني اري نفسي **||** امهما مدحت ووصفت في حضرتها
 وشرحت لا قدر انت اقوم بالفرض الواجب ولا استوفي
 بعض ما لدولتها من المآثر والمناف فلا يرتحت الايام مشرقة
 بكوكب سعدتها والدياني منيرة ببهاء مجدها على طول الدوام
 ما فاح الحمام ولا ح بدر التمام



الباب الثامن عشر

ذكر ولاية اسماعيل باشا العظيم الشأن فجل المرحوم المبرور

ابراهيم باشا ساكن الجنان

هو بدر الاكوار وكعبة الحجز والاحسان والجوهر الثمينة
 في هذا الاوان سر غم انوف الجبارة مفرجياه الاسود الكاسر الذي
 انتهجت باليامه دولة العرب وعلا قدر الفضل والادب حضرة

سيدي ومولاي اسماعيل باننا انشار اليه من جعل الله مقاليد
الكمال والسيادة طوع يديه جلس على سرير القاهره وبلغ القصد
والارب وارتيق في المعالي الى اعلى الرقب في اليوم الثامن والعشرين
من رجب سنة الف ومائتين وتسع وسبعين هجرية الموافقة لسنة
الف وثمانمائة واثنين وستين مسيحية فتهاجرت الناس بولايته وقدمت
الشعراء المدائح والتهاني لسيادته والله در القائل في حضرته

يامصر قاهرة الدنيا بسطوتها	قد جدد الله من ايامك الاول
دار الخلافة عادت فيك فائة	كما اقتضت حكمة الرحمن في الازل
قد كان في مصر نيل واحد قدما	فرا دسا الله زبلا مطعى الغلال
قام المظفر اسماعيل منتصباً	في عرشها كقيام الشمس في الحل
لاحت طوالعه فيها فقلت لها	يا سعد الارض هذي اسمع الدول
هذا العزيز ابن ابراهيم نسبته	تصاغ من اولياء الله والرسول
فيها الخليل واسماعيل قبلها	محمد جاء مضموماً اليه علي
هذا ابن من صيته قد طار منتشراً	في الشرق والغرب مثل السبعة الطول
لو كان في ارضنا طرف الى زحل	كان انتها صيته منها الى زحل
واليوم قد قام اسماعيل بخلفه	في الحزم والعزم بين القبول والعذل
كانت شمائله كزهر ناخته	فالتفت من جناحا صفوة العسل
فسلك السيرة المرضيه وجرى الهمة العلية في تزيين الاقطار	
المصرية بالابنية الجميلة والشروعات الخيرية فلما شرع به وانشاه	

حفظه الله وابقاه ورفع مجده وسماه اقامة المنارات في البحر الاحمر
 لوقاية السفن من الخطر والضرر واصلاح الطرق والترع وتحسين
 الابراج والقلاع وادخال بحاري المياه لمصر وايصال التلغراف للسودان
 وجهات القطر واعادة دار الطباعة ببولاق لانتشار الاداب في
 الافاق وتنظيم المجالس وبنیان المدارس ورفع السخرة عن الفلاحين
 وتأليس معامل العرق والكرخين ولا سيما طريق السودان الحديدية
 التي هي من اعظم المشروعات الخيرية لتسهيل سبل التجارة
 وانتشار المعارف بين الشعوب والطوائف الذين استباحوا المعاصي
 واستحلوا المنكرات وصرفوا زمانهم بالحروب والغارات وهو
 الذي بنى مدينة الاسماعيليه وزخرف حديقة الازبكية ذات
 المجالس والمناظر البهية جلب اليها من كل انواع الاشجار
 واجرى في خلالها الجداول والانهار وزينها بنغمات الموسيقى
 وانواع الالحان حتى صارت كفرحوس الجنان يأتينا المتفرجون
 من ابعد مكان وابعادها لكافة الناس من جميع الاجناس
 يحولون فيها في الليل والنهار يسمعون الغناء ويتناقلون الاخبار
 فهباً لكم يا شبان مصر وطوبى لكم يا غرقاء العصر على هذه
 المنزهات والفرج التي تزيل الغموم وتنمش القلوب والمهج
 ومن فضله المآثور احدث وابور النور الذي سطعت انواره
 البهية الباهرة في الاسكندرية ومصر القاهرة فاسفر نورها

بعد الظلام واستناروا وصار ليلهما نهاراً وبذلك أمن التجار
 على حوائيتها وارباب الصنائع من شر اللصوص في الاسواق
 والشوارع ومن جملة مساعيه التي تستحق الذكر جيلاً بعد
 جيل هو ما اظهره من مزيد الهمة في دفع اضرار النيل
 الذي كان قد زاد فيضانه سنة الف ومائتين واحدى وتسعين
 دون باقي الاعوام والسنين حتى كاد يتلع السهول ويطوف
 على القرى والحقول فلولا هناية دولته والتفات حضرته لم
 يلا و زاد شره واذاه واضر بالمزروعات وعطل المواسم في
 اكثر الجهات فبار جنايه بالمعجل وارسل لهذا العمل نحو
 مائتي الف نسمة من الفعلة والخدمة لصد هجمات مياهه
 المتراكمة ودفع عزم امواجه المتلاطمة بفتح الترع الوسيعة
 واقامة الحواجز المنيعة وبعد بذل الجهد ومقاساة التعب والكد
 ارتفع الضرر بعد ذلك الخطر واصبحت البلاد في امان من
 هول ذلك الطوفان وهذا العمل حرك اكثر الناس ان
 يصنعوا لحضرته تمثالاً من النحاس وينصبوه في مدينة
 الاسكندرية اظهاراً لحاميات الشكر والممنونية وتذكيراً لما
 بدى من حضرته السنية وحمته العلية من السعي والاجتهاد
 في كف الضرر عن ابلاد ومنه مساعي حضرته الجليلة
 وعنايات دولته الحميدة الجليلة التي تستحق ان تذكر وصل

البحر المالح : - بحر الزمهر الذي كان قد شرع فيه على اتم
 كيفية واحسن حيثه حضرة المرحوم المبرور سعيد باشا
 صاحب الفضل المشهور وان كانت الاحكام الربانية والتقدير
 الرحمانية امراً لا بد منه ولا سبيل عنه وكان وقتئذ قد
 حان القدر المقدور انتقال الى رحمة ربه الغفور تغديه الله
 بالرحمة والرضوان وسقى ثرى رمله غيث النعم من اعلى
 غرف الجنان ثم لما اكتمل هذا المشروع وتم في ايام حضرة
 اسماعيل باشا ولي النعم استدعى من اوروبا جميع الملوك
 وعظماء الدول لمشاهدة فجاز هذا العمل واعد لهم في ذلك
 المقام كل ما يلزم من مزيد الاكرام فحضر بعضهم الى هذه
 الوليمة البهية وشكر كل حسن مساعيه السنية والذي لا
 يصح ذكره الحضور اما اعذر واما المقصود ارسل احد نوابه
 لمقابلة رفيع جنابه فاستقبلهم احسن استقبال مستطاب وحلوا
 عنده محل القبول والترحاب وقد انتهجت نواظرهم وانشرت
 صدورهم ونواظرهم بما شاهدوه من حسن الترتيب والنظام
 وما انطوى تحت ذيل مشروعاته من مزيد العناية والاهتمام
 وكان قد اعد لهم وليمة من انظر الولاثم ما سمع بانها قط
 بين الاعارب والاعاجم نطيب بها الخواطر والانفاس وتسطع
 حولها لوامع انوار الجلاس حتى كانت بهجة للنواظر وزهدة

للمخواطر لمعري انه بحر الكرم الزاخر ونخر الاوائل والاواخر
 وكنت عند زيارتي الديار المصرية سنة ١٢٩١ هجرية
 قد تطلعت على دولته العلية بتقديم نسخة من كتابي روضة
 الادب في طبقات شعراء العرب مع نسخة بالخط من هذا
 التاليف الى ساحة بابه العالي المنيف فصار قبولها عند جنابه
 الشريف واستدعاني للدخول والحضور وقابلني بوجه يتلأل
 منه النور وامرني بالجلوس امام جنابه وانسني بكلامه وخطابه
 والبسني بلطفه المشهور حلل الفرح والسرور ثم انعم علي
 بوسام المجديده من رتبة سنيه فشكرت احسانه وفعله ونحلت
 حلمه وفضله هذا وقد شاهدت من حلمه ووداعته ومكارم اخلاق
 سيادته ما يعجز عن وصفه اللسان ولا يستوفيه قلم ولا ديوان ولا ينكره
 قط انسان

وذكره شاع بين الناس محمودا	هذا الخديوي الذي الطافه اشهرت
وردت حمده الافواه ترددا	ترقت بشانه الخلق قاطبة
واليوم نال باسماعيل تجديدا	انسى سنى العرب اسماعيل من قدم
نغراً وشيد مجد العرب تشييدا	احيا العلوم التي اعتزت بهمه
حتى غدا كل يوم عندنا عيدا	طابت بطلته الايام واقتوت
القت اليه يد الملك المقاييدا	ابن الفراغة الاقبال من ملك
يوماً لا طرفن اجلالاً وتمجيذا	لو شاهدت هذه السامي عيونهم

واستمر بالولاية ثلاث عشرة سنة وكسور ثم انفصل عنها
 لبعض اسباب وامور وتولى الاحكام من بعده حضرة الامير توفيق
 باشا ولي عهده الذي ابتهج الزمان بأيامه وراق منهل العلم والامان
 بحسن احكامه

الباب التاسع عشر

ذكر ولاية حضرة مولى المولى وصاحب القدر العالي محمد
 توفيق باشا الخديوي الحالي ادام الله ايامه بالعز والاقبال على
 مدى الدهور والاجيال

الحمد لله العزيز الجبار الذي لا تدركه العيون والابصار
 ولا تهدي الى معرفة صفاته العقول والافكار وصلى الله على
 النبي المختار وعلى آله واصحابه الاخيار ما غنى الهزار واشرفت شمس
 النهار اما بعد فيقول المرتضى محو المساوي محمد بن علي بن
 محمد الشهير بالملكوي هذا باب عقائد المؤلف حفظه الله وبلغه من
 الخيرات ما يتقناه في ذكر مآثر حضرة ولي النعم ورب المجد
 والكرم محمد توفيق باشا الخديوي المعظم وقد طلب مني ان ازينه بما اعهد
 من منافع دولته واذكر فيه ما اجراه من الاصلاحات في مدة
 ولايته لكوني من ابناء الديار المصرية ولي معرفة وفيه بمآثر حضرة
 السنية فاجبته الى المطلوب فجأ طبق المروغب . جلس معه الله

بالغز والاقبال على كرسي الخديوية المصرية في اليوم السابع من
 شهر رجب سنة ست وتسعين ومايتين والالف هجرية بعد انفصال
 حضرة والده عنها لاسباب لا استطيع ذكر شي منها فكان ذلك
 خيراً والخيرة في الواقع ولو اطلعت على القيب لاخرتم الواقع آلت
 لحضرتة بنص فرمان الوراثة الاخير الذي بشير بانحصارها في
 الابن الكبير من اولاد ولي الامر واستمرارها كذلك على مدى
 الدهر فتخلق باخلاق الخلفاء العادلين واتقن قواعد الرياسة بالحزم
 والراي المتين وقلع اساس المبتدعين وقطع دابر الملحدين ونقى
 جمال الدين الافغانى ذلك المجد الجاني وفي ايامه تشيدت دعائم
 الدين وقويت عصاة الموحدين وعمرت المعابد والمساجد وكثر
 الراكح والساجد اذ الناس على دين ملوكهم يقتفون آثارهم في
 اعمالهم وسلوكهم فاقسم بالله وأياته ومشعر الحج وميقاته انه لم
 يبق في مصر ملك مثله يحامي على الدين ويعظم احله ويقابل
 الناس بوداعة النفس وبواظب على الصلوات الخمس قد صلى
 الجمعة الاولى من جلوسه في جامع سيدنا الحسين ابن بنت
 المصطفى امام الحرمين ومن محاسنه العظيمة ومكارم اخلاقه العميمة
 التي تستحق الذكر على مدى الدهر تخفيف رسم التذاكر المفروض
 على كل مسافر من الوافدين الى هذه الديار من جميع النواحي
 والاقطار بعد ان كان يؤخذ من كل انسان سبعون غرشاً بلا

زيادة ولا نقصان فانزلها الى ثمن هذه القيمة وهذه رحمة عظيمة
 ومنة جسيمة وفي ايامه تعدلت جباية الخراج على احسن
 اسلوب واقوم منهاج وتقسطت على كل انسان بحسب ما يملك
 من الاطيان وذلك بموجب حكم وقرار يدوم على مدى الاعصار
 فامسى الفلاح مطمئن البال بعد ان كان يقاسي الاعمال واشد
 المشقات الثقال من جباية الاموال لالتزامه اقتراض النقود من
 صيارفة الافرنج واليهود تحت ربا فاحش ومتاعب غير قليلة
 حتى يتخلص من تلك الورطة الربوية فجزى الله الخديوي خيراً
 ولا اراه في المجاله يوماً ضيقاً واحسن له العاقبة في الحال
 والمال كما اراحنا من ثقل تحصيل الاموال وهذه يا صاح وسيلة
 النجاح فانها من اهم الامور الكبار لتحسين البلاد وتقدم العمران
 ويكفيه من الفضائل تسوية الديون السائرة بعد ان كانت
 اربابها مضطربة حائرة وذلك لعمد دخولها تحت قاعدة وتأخير
 دفعها من الحكومة بلا فائدة فجمع الله نواب الاول وعقد مجلساً
 لم يسبق في عهد الاول حضرت به الديون الميرية على طريقة
 عادلة مرضية وتعدلت ميزانية الصرف والايراد بالحالة الممكنة
 بها السداد ورتب قانوناً للعسكر الجهادية حدد لهم فيه التعيينات
 الشهرية وما يلزمهم من النفقات والجامكية وحصر عدهم برأيه
 السديد بحيث لا ينقص ولا يزيد ومما اجراه من العدل والانصاف

ارجاع ما كان مأخوذاً من اموال الاوقاف ومن بيت مال المسلمين
ومن الايتام والمحتاجين وصرف لكل ماله وما كسب ورفع المظالم
والكرب وكان سيداً الرجوع الثروة الى مصرنا فزال الفقر وكثر الغنى
وبلغت الناس غاية النى بعد التعب والعناء فله دره من بطل
همام وليث باسل ضرغام على هذا الاعتناء والاهتمام الذي لم
يسبقه عليه احد من الملوك والحكام وكنت عند جلوسه على
كرسي الولاية امتدحته قصيدة بلغت من الحسن النهاية منها هذه
الآيات وقاه الله شر التائبات اقول

نعم المعالي قد بسم	والقطر اشعشع وانتظم
والعدل واني مقبلاً	والظلم ولى وانهمز
والخير اصبح دافقاً	والناس امست في نعم
وديار مصر تزينت	لما خديويها حكم
توفيق نانا من غدا	نخر الخلائق والام
ما قام وال مثله	بين الاغارب والعجم
خضع الزمان لامره	وطاعه فيما رسم
بشرى لكم ياممة الا	سلام في هذا العلم
هذا الذي في حكمه	ترعى الذئاب مع الغنم
وبحسن مشروعاته	احيا البلاد من القدم
غوث الفقير المنصف	مظلوم من قور ظلم

نبش العدى غيث الندى نور الهدى بحر الكرم
 حاز الفضائل كلها وجميع اسرار الحكم
 وسما بهيمته على اهل المعالي والمظم
 وهي قصيدة طويلة ضمنيتها اوصاف حضرة الجيلة وبالجملة
 فان فضائله لا تنكر والطافه لا تعد ولا تحصر فنسأل الله ان
 يديم ايمانه وعدله وان يكثر في ولاية الامور مثله فحدث باصاح
 بمزاياه وافخر وقل ان جناب خديونا للفضل مبكر يلتقى الوفود
 بالبشر والترحاب ومحادثهم بالحكمة وفصل الخطاب ولقد حظيت
 بالمشول بين يديه عدة مرار وشاهدت طلعتة المشعشة بالانوار
 وسمعت الفاظه العذبة الشبية ومعانيه السامية السنية فوجدت
 فيه من الحلم وكرم الاخلاق ما لم يوجد في غيره على الاطلاق
 وهو مع هذه الرتبة العلية لا يفتر عن صوالح الرعية والاعتناء
 بالمشروعات الخيرية ونشر الشرائع والاحكام الدينية قد اتقن اللغة
 التركية والفرنساوية وترقى في العربية وبقى القنون الادبية الى
 اعلى درجة سبه يحب العلماء الفاضلين ويقتني آثار الصالحين
 وينفق امواله على الفقراء والمساكين فنهياً لمصر في هذا العزيز
 الذي رفع مقام الكتاب العزيز واتانا بعدل عمر ابن عبد
 العزيز وكنا لا نعرف العدل الا في التواريخ والسير وما هو
 بينا اليوم قد ظهر وانتشر ولقد اتسع بيمينه نطاق العلم والمعارف

وازدادت الارزاق وكثرت الوظائف وظهرت الجرائد ناقلة الاخبار
 في اقطار الديار وافناء الوطن بكوكبها واستنار وانتشرت وقائع
 اللطائف في الاسكندرية المحروسة وكانت مصر من عهد الاهرام
 غير مأنوسه وثبت تقدم عصرنا الجديد بالدليل والبرهان وازدهت
 مصر تيهاً على باقي الممالك والبلدان ومن جملة مشروعاته تأسيس
 الجمعيات لقيام المدارس وتوزيع الحسفات ودفن الفقراء ومعالجة
 المرضى في المستشفيات تحت ادارة الكوكنين اليرين والاسدين
 الضراغامين حضرتي نجليه الاميرين العظيمين وهما الامير عباس
 والامير محمد علي صاحباً المجد والقدر العلى اولهما ولي العهد مهي
 جده وثانيهما نعم الكريم مفتخراً بمجده فالى عباس البطل الاغلب
 المقاصد الخيرية تنسب لانه همام اديب مهذب نائبه وزير في
 العلا سامي اسمه محمود وهو لقطرنا حامي ناظر الجهادية والبحرية ذو
 الهمة العلية والفصاحة والقرينة الذكية ولحمد علي بتوفيق
 ابيه الخيري جميعه اساسها مقل بحسن التوجهات الحديثة وقانونها
 جامع لفعل الخير والبر موهبة من اعضاء ذوي فضل وقدر
 والفقير من اول مؤسسيها ولا نخر ولما صدر الامر على قانونها
 بالقبول صنعت ليلة انس حضرها الادباء الفحول بتقديم الاديب
 الفاضل والهايب الذي ليس له مماثل عبد الله افندي نديم
 الخطابة وتلميذه نبيه تلوح عليه دلائل التجاه وتمزجوا

باديب من بني اسحاق الذي شاع ذكره في الافاق وكان ذلك
 بمحض من العلماء والقوات الاكابر والبعض من الباشاوات
 ارباب المناصب والمفاخر فافتتح الخطبة زديم افندي المذكور
 وابدى لنا من فصاحته ما حير عقول الجمهور ثم اعقبه اديب
 واتى بالعجب العجيب من فصاحة الخطاب والحديث المستطاب
 حتى انبهرت الافكار والالباب ثم عاد الزديم ودعا التلميذ
 للخطابه فلما طوعاً وبادر بالاجابه فوق وانواره ساطعه وشنف
 مسامعنا بكلماته الجامعة ولما تصف الليل وذهب اكثر الحاضرين
 وافى ليث العرين وممودة العلماء البارعين صاحب الفضل
 المين والراي الصائب المتين جناب الفاضل محمد عبده وكنا
 تقدمه متشوقين ومتظنين فافتتح الكلام بخطبة ادبية ضمنها
 من الوقائع المصرية والالفاظ العذبة الشبيهة ما شفى العليل
 واروى الغليل وهاد الاولون للقول بالتكرار حتى خلنا ان
 الفجر استار ودعا الجميع لخديوتنا بالتوفيق والاقبال مع امراء
 الصاكر وقواد الابطال حتى تخيلنا هيئة اروبا في بلادنا وان
 القوم صاروا عبيداً لنا كل ذلك بفضل خديوتنا المطاع من
 اشهر فضله وذاع وذكر عدله سلاء السهول والبقاع وهابل
 ذا تقدم الجمعيات والعلوم ولا ينكر الحق الا كل غاشم ظلم
 فقال المنارب الياس والخضر ان يديم المالك سيفه مدي الدهر

فصل

في ذكر اقاربه الاعاظم اصحاب الفضائل والمكارم

فمن اقاربه العظام الذين زهت بوجودهم الليالي والايام
وشهدت بفضلهم سادات الانام كل صام موصوف وبدوتم لا
يعترى اشعة مجده خدوف اولهم شقيق حضرة الخديوي
الامير محمود قهار الاسود ودمان اللطف والجلد حفظه وصانه
الاله المعبود وبعده نجيلا المرحوم احمد باشا عمه الاكبر اللذان
فضلهما بين الناس لا ينكر وهما الاميران الشهيان والسيدان
المنيران دولة ابراهيم باشا صاحب الشام والقصر واخوه احمد باشا
غرة جبين هذا العصر ابد الله بالمر ايامهما ونشر على هام المجد
اعلامهما ثم انجال عمه المرحوم مصطفى باشا فاضل الذي كان
مصدر المكارم والفضائل ويعجز عن وصف ما قره كل قائل
اكبرهم عثمان باشا ونعم عثمان فاق يحسن اخلاقه كل انسان وتفرد
بالمناقب الحسان على الاقران ويليه في الفضل والادب كامل
باشا وهو جدير بهذا اللقب وابراهيم ومحمد على تمام الاربعة
ارجو لهم من المولى زيادة السعة وان يفيض عليهم من
جزيل انعامه الخيرات المتنوعة ومن الاقارب ذوي الارحام
اصحاب الفضل والاحترام الغايزين كرم الاعراق دون الانام

ابناء الاميرين الجليلين والمشيرين العظميين احمد باشا يكن
واخيه ابراهيم باشا قره العين اولم صاحب الدولة والاقبال
المتعلي بجلل الفضائل والكمال لبث الغزال وغيث النوال
الذي لا تحصى مناقبه ولا تستقصى مواهبه بدر الدور
ومدير امور الجمهور الممoud المشكور من اسمه بالفضل بجني وهو
منصور لا زالت ايامه في نعيم وسرور على طول الازمنة والدهور
واقعد قلت فيه دامت مكارمه ومعاليه

هذا فريد العصر منصور الذي باهت به ايامنا والاعصر
في الحلم معن في المكارم حاتم في الرأي قيس في الشجاعة هنتر
لا زال منصوراً على اعدائه طول الزمان وبالمقاصد يظفر
ثم صاحب العفة والمهابة والفخر الجلي سمي المرتضى حيدر قدره
على له همم بين الاقران عليه وماتر باهرة سنه سيأتي ذكره مع
الوزراء وهو ناظر المالية واقعد قلت فيه هذه الايات مع قصوري
عن حصر ما اتصف به من حسن الصفات

حاز المكارم والمحامد حيدر وبيدح حضرته اللسان يقصر
الماجد المفضل والسند الذي كل القلوب له تميل وتشكر
هذا الذي باهى الانام ومن له في امة الاسلام فضل يذكر
بطل تذل له الاسود وتختشي سطواته كل القروم وتحذر
واذا تفاخرت الكرام وجدتها في باب السامي الذرى تستعصر

ثم جناب خليل باشا الامير الجليل والحاذق القطن النيل
الذي هو للانام صديق و خليل وليس له في الاقران من مثيل
يستوى عنده الحقير والجليل ذو المآثر الحميدة الجليله الحائز لكل
مكرمة وفضيله وهو وكيل الداخلية الجليله ادام الله ابامه ورفع
مهمه ومقامه

فاق الاماجد بالكمال خليل فله بحق المدح والتعجيل
هذا وكيل الداخلية من غدا بين الوري سامي المقام جليل
ذو همه طوية وعزيمه لو صادمت جبلاً لكاد يميل
ولا تنس داود باشا نحر الوري ولا تذكر ما قد جرى فهو لاه
وباق اخوتهم الافاضل حازوا بقرابتهم لحضرة الخديوي كل الفضائل
وما غاب عن هذه الديار من ارباب الشرف والفخار منهم صاحب
الفضل السعيم والخلق الجميل الكريم جناب محمد باشا عبد الحليم
ثم باقي انجال جناب اسماعيل باشا الخديوي السابق الذي شاعت
فضائلهم في المغارب والمشارق وهم الامير حسين و ابراهيم وعلي
وفؤاد وحسن اصحاب الخلق الجميل والصيت الحميد الحسن

الباب العشرون

في ذكر امراء الحكومة المصرية وارباب المكارم والمآثر
السنيه اولهم الوزير الشهير والقمر الباهر المنير الذي فاق بمآثره

كل امير ووزير وسما على الاقارب وارثي رتبة الشير صاحب
الدولة والاقبال محمد شريف باشا الهام المفضال مناقبه لا تحصى
ولا تعد وشرف نفسه اشتهر وفاق الحد وهو مع رياسته للانظار
ونظارته للداخلية له التصرف العام في جميع الحكومة المصرية اسأل
الله ان يحفظه ويبقيه ويزيد في سموه وممايله ومماقلت فيه

هذا الشريف الذي الرحمن شرفه وخصه بحمائل الخلق والشيم
وقد تفرد في حسن الصفات وقد فاق الاماش في حزم وفي عزم
وقام في مصر هذا اليوم منتصباً للحق والعدل والانصاف والكرم
عناية الله ترعاه وتحفظه مدى الدوام بعز غير منصرم

ومنهم

صاحب رتبة الصديق والفضل من تولى نظارة على المالية بالتحقيق
سعادة حيدر باشا يكن محبوب جميع المصريين واقارب اهل الوطن
تقدم ذكره مع اقارب خديوتنا المحترم حفظه الله

ومنهم

الامير الماجد مصدر الفضائل والاحامد ذو الرأي السديد
والبطش الشديد الذي خضع الزمان لامره ولهجت الالسة في
مدحه وشكره البطل الهام والشجاع المقدم الرفيع المقام الحامي
القطر يوم الصدام بمجد الحسام صاحب الهمة العلية والادوصاف
الحميدة المرضيه سعادة محمود باشا سامي ناظر الجهادية البرية والبحرية

وفد تقدم ذكره في الكلام على جمعة المقاصد الخيرية وقام الله
شرك كل يومس ورزبه

تهم يذكر محمود البرايا على ما فيه من حسن السجايا
اشد الناس في الهيجاء بأساً واعلى همة واسد رأيا
اذا شهد القتال وكر يوماً اذق عدوه كأس المنايا
ومنهم

عمدة الامراء الكرام وخلاصة الكبراء العظام من زهد
بنور طبعته الايام وشمل انعامه الخاص والعام فريد العصر والاولان
ومعدن الفضل والعرفان الذي تحلى بحسن اوصافه بطون الدفاتر
وتخضع لهبة عزه الاسود الكواكب سعادة محمد قدري بلسا ناظر
الحقانيه حفظه الله وصانه رب البريه امين

همام قد حوى لطفاً وبخراً وفاق الدار في جهاء وقد
وقد شاعت فضائله جهاراً كضوء البدر في الافلاك يسرى

ومنهم

بدر المعالي ونخري الموالى المحبوب من جميع الاهالي من اتصف بالفراصة
وحسن السياسة صاحب الهمة العلية سعادة مصطفى بلسا فهمي ناظر
الخارجية حفظه الله ووقاه وزاد مجده وعلاه

ومنهم

الهمام العارف بحر المعارف وكثر اللطائف صاحب الاوصاف

البديعة والمراتب السامية الرفيعة سعادة اسماعيل باشا ببلغه الله
من الخيرات ما شا

ومنهم

الهام المكرم والشجاع المقدم صاحب المحاسن والالطاف سعادة
ذكي باشا ناظر المعارف والاوقاف حفظه الله وبارك فيه وبلغه
ما يتحناه

ومنهم

نجر القوات الحميد الصفات اعني به صاحب الاخلاق الزكية
ورئيس كتاب الحضرة الخديوية الهام الموقر المفعم سعادة طلعت
باشا المكرم لا زالت انوار لطائفه عابقة ساطعه ولا برحت شمس
عوارفه في فلك السعادة شارقة طالعه

ومنهم

الامير الخطير والبدر المثير ليث المعامع وقهار المواكب والطلائع
بسيفه الماضي القاطع في ساحة الوقائع الذي ليس له في القروسية
من منازع سعادة ذو الفقار باشا تشريفاتي الحضرة الخديوية لا
زالت ايامه في سرور ورفاهيه

ومنهم

الحسام البتار والبطل القهار سامي المجد والفخار وزينة الامراء
والنظار الذي شاعت فضائله في الافطار وكرعت من مناهل صافي

جوره العبيد والاحرار سعادة خيرى باشا المهر دار حفظه الواحد
الفهار

ومنهم

البطل الهام وليث الصدام صاحب القدر العلي سعادة احمد
باشا الدراملي محروساً محفوظاً وبناية الله موهباً ملحوظاً

ومنهم

نحر الامراء والاعيان صاحب الفضل والاحسان الذي شاعت
الطافه في كل مكان ولمح يدح جنابه كل انسان سعادة حسين
باشا الدراملي حفظه الاله الرحمن

ومنهم

البطل المغوار والاسد الكرار صاحب البطاش والاقطار
والجاء والاعتبار الذي اشتهر بالكرم ومحاسن الاثار واقتضرت به
مصر على جميع الاقطار مصطفى باشا الخزانة حفظه الاله الجبار
على مدى الدهور والاعصار

ومنهم

الهام الاكرم والليث الضيف المحمود بين جميع الامم المنصف
بالاستقامة وعلو الهمة سعادة محمد توفيق باشا الانتم حفظه باري

النسم

ومنهم

البطل الصنديد ونخبة الامراء الامايرد صاحب البطاش
الشديد والراي السديد سعادة احمد باشا رشيد لا زال مقامه في
علو ومزيد

ومنهم

الامير الجليل صاحب الخلق الجليل والفضل الجزيل سعادة
ابراهيم باشا خليل ادام الله رفيع محله وزاد في عزه وسعده واقرب
عنه بنحمود بك فجله وجعلها في عز واقبال مدى الايام
والليال

ومنهم

نخبة الامراء الكرام وزينة الايام والايام صاحب الجاه
والاحترام من يباقي به الدهر وتفتخر به ديار مصر الاسد الغشمش
وبحر الجود والكرم الجامع بين شرفي السيف والقلم سعادة علي
جلال باشا الانتم نجل المرحوم المبرور احمد باشا المنكلي المشهور
حفظه الاله الغفور ولا زالت ايامه في عز وسرور

ومنهم

عمدة الامراء الافاضل وخلاصة الكبراء الاماثل من اتصف
بعلو الهمة وحسن الدرايه سعادة راغب باشا لا زال محروفاً بعين
العناية

ومنهم

الهمام الفاضل البليغ المتحلي بمحاسن الخصال بدر الديار المصرية
وبحبي العدالة الكسروية انذى تعطرت البلاد من حسن سيرته
وشاعت في الاقطار لطائف حضرته سعادة عمر باشا لطفي بمحافظ
الاسكندرية اطال الله عمره ووفاه كل شر وبليه

ومنهم

الهمام المحترم صاحب البند والعلم وبجر الجود والكرم سعادة ابراهيم
باشا ادم حفظه الله تعالى وزاده عزاً وافضالا

ومنهم

الليث الاروع والبطل السميع قهار الجبارة الفطاريق وصاحب
القدر السامي المنيف سعادة علي باشا شريف لا زال محروفاً
بعناية ربه اللطيف

ومنهم

ذو القدر الرفيع والخلق الجميل الوديع الذي فاق على اقاربه بحسن
سياسته وقوة جنانه صاحب الهمة العلية والممدوح من جميع البريه
سعادة حسن بك فهمي مدير الموفيه حفظهم الله جميعاً على مدى
الاجيال مصحوبين بالسعد والتوفيق والاقبال وبلوغ المقاصد والامال
واذ قد عرفت الآن من ذكر الامراء والاعيان رأيت ان اذكر
المرحوم المبرور اسماعيل صديق باشا المشهور لانني كنت وكيل
دولته ورئيس دائرته لنبقى ذكره مخلداً جيلاً بعد جيل اذ له علي

فضل وجميل فاقول كانت رحمه الله وجعل الجنة مأواه وذير
 المالية واحد بدور المملكة المصرية وديعاً كريماً اديباً فريباً لطيفاً
 حليماً ذو رأي وتدبير وفي امور الدهر عليم وخبير يكرم الوافد ولا
 يصد قاصد وكان جناب صاحب هذا التاليف قد مدحه بقصيدة
 من الشعر النفيس الظريف فاستحسنها كل الاستحسان وغمره
 بمجزيل الانعام والاحسان فاثبت بمضها لحسن معانيها وعذوبة
 الفاظها ورقة قوافيها واولها قوله

الدهر يزهو والمنا يتجدد

وفيهما بينه يزفان فحله البطل المهذب وليث الغاب نغر الادباء
 الانجاب تتحلى بحمل النكاح والآداب سعادة مصطفى باشا حفظه
 وصانه رب الارباب وزاد في عزه ومعاليه وجعله خليفة لايه
 مولاي اسماعيل يا من قوله بين البرايا نافذ ومويد
 قد جاء عبدك قاصداً ومهنئاً يهدي فروض الواجبات ويحمد
 بقران فحلك مصطفى المولى الذي هو بين ارباب المعارف مفرد
 يا حسننا من فرحة واجله يوماً هو اليوم الاعز الاسعد
 يوماً به شمس الضحى قد قارنت فر الدجى ففدا السرور يفرد
 يوماً به راق الزمان وزينت فيه الاهالي بر مصر وعيدوا
 شهم تفرد بالخاص والمبا والانس واللعاف الذي لا يحمد
 لازال محروس الجناب معظماً ومظلاً سعادة لا تنفد

ويديم دولتكم على طول الندى ما لاح نجم في السما يتوقد
ومما قلت انا في مدح عائلته وفي سعادة احمد نشأت بك
ابن اخي دولته مهناً حضرة العلية بولاية نظارة الدائرة السنية بأفقه
رب البرية السعادة الابدية

بشرى لكم يا آل صديق الوري قد تاتم رتب المعالي الفاخرة
جائكم العليا وسدتم مكرماً وعلوتم شرفاً بمصر الفاهرة
عاد القغار لكم بنشأة عزكم لما رقى بظاهرة للدائرة
وسأختم الكلام في هذا الباب بالثناء على مؤلف هذا
الكتاب جناب المناجد الكامل عزقلو اسكندر بك الاديب الفاضل
الذي صرف زمانه بتأليف الكتب والرسائل ولا سيما في هذا
التأليف النفيس الضريف الذي طالعته واياه وعاونته على ما تضمنته
وحواه فان له فيه الذكر الجزيل والفضل الجزيل حيث اودعه من
الوقائع الابراهيمية والمآثر الباهرة السنية المتعلقة بالعائلة الحمدية
العلوية في بر مصر واقطار سوريه ما كان محبوباً عن العيان
ومتروكاً في زوايا النيران فكشف عن وجهها النقاب وابانها في
هذا الكتاب المستطاب بأسلوب ارق من ماء السحاب يمش
القلوب ويضرب الاذان وتصور اليه النفوس جزاه الله خيراً ولا
اراه مكروهاً ولا ضيراً فكم له من مؤلفات مفيدة ورسائل عديدة
وكتبت قد وقفت على اكثرها فمن اجودها واشهرها كتاب روضة

الادب في طبقات شعراء العرب وكتاب نهاية الارب وكتاب
نواذر الزمان في ملاحم جبل لبنان وكتاب منية النفس في اشعار
عنتر عبس وكتاب التحفة الغراء في محاسن تونس الخضراء وكتاب
ريحانة الافكار في اخبار الملك شريار وكتاب ديوان الدواوين
في اجود اشعار المتقدمين والمتأخرين ضمنه مختارات الشعر من
غزل ومدح ورناء وحكم ونثر وكتاب كناس المدامه في تراكيب
الدامه وهو كتاب غريب جمع فيه الف لعبة من انواع الالعب
والتراكيب ورتبها على اسلوب مدهش عجيب لم يسبقه عليه احد
في هذا الوضع والترتيب وجعل لكشفها جدولاً يهتدي اليها
الطالب من قريب وكل من كان له ميل ورغبة او معرفة في
اصول هذه اللعبة وله ايضاً ديوان شعر بين نظم ونثر وشعره في
غاية الرقة والانسيجام خالياً من الخشوع والتكلف وتعقيد الكلام
تكاد تفهمه عامة الانام وله في السجع اليد الطولى وقد تفرد فيه
بهذا المقدار حتى انه صار يعد من ارباب الطبقة الاولى ومن
كان في شك وارتباب من هذا الشرح والخطاب فعليه بمطالعة
كتابه وريحانة الافكار في اخبار الملك شريار الذي اشتهر بين
الانام في هذا العام وقرظه فحول الشعراء والعلماء الاعلام فيتضح
له صدق الكلام ولا يخفى ذوي الالباب ما اودعه في هذا
الكتاب من نفائس الحكم ونواذر الادب التي لا يحمد فضلها

الأكمل معاندا أو عدوا وحاسدا ويكفيه انه قد حاز بالاستحقاق والاهلية
من دولتنا العلية وباقي الممالك الاجنبية على عدة زبائن من رتب
سنيه مع لقب البكويه كثر الله من امثاله وبلغه آماله واطال
في عمره وزاد في عزه وقدره والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على رسوله محمد الامين وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم تسليماً الى
يوم الدين

خاتمة الكتاب

قال مؤلفه هذا آخر ما اعتمدت عليه وامكنني الوصول بعد
الجهد اليه مما شاهدته بعيني وتلقته عن افواه ابناء زمانى من
الحوادث المصرية والفتوحات الشاميه المتعلقة بالماثر الحديويه
وابراهيم باشا صاحب الهمة العلية ولا يخفى ما كابفته في نقل
اخبارها وجمعتها من وقائع محاسنها بمعاونة جناب الهمام
الاوحد والحسام المهند الذي لا ينكر فضله ويحمد عزله
محمد افندي مكوي الامجد فكانت كهروس ما مثلها كهروس
وربحانة تنعش بها القلوب والنفوس واتنا اسأل
الاله الرحمن العفو والاحسان والمغفرة
والرضوان من السهو والتقصان
وعشرة اللسان انه كريم
منان

فهرست التاريخ

صفحة

- ٦٠٠ الباب الاول في اوصاف صاحب الهمة العاليه
والمآثر الباهرة السنيه محمد علي باشا وولايته على الديار المصريه
٢٣٠ الباب الثاني في وصف نجله الكريم سمي الخليل

ابراهيم

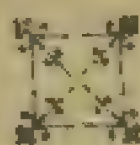
- ٢٤٠ الباب الثالث في مسير ابراهيم باشا بالعساكر الجهاديه
لحاربة الديار الشاميه

- ٣٠٠ الباب الرابع في حصار مدينة عكا وفتحها اكل
عربستان واستيلاء ابراهيم باشا على جبل لبنان
٣٧٠ الباب الخامس في فتح مدينة عكا الحصينه وهدم
ابراجها وقلاعها المتينه

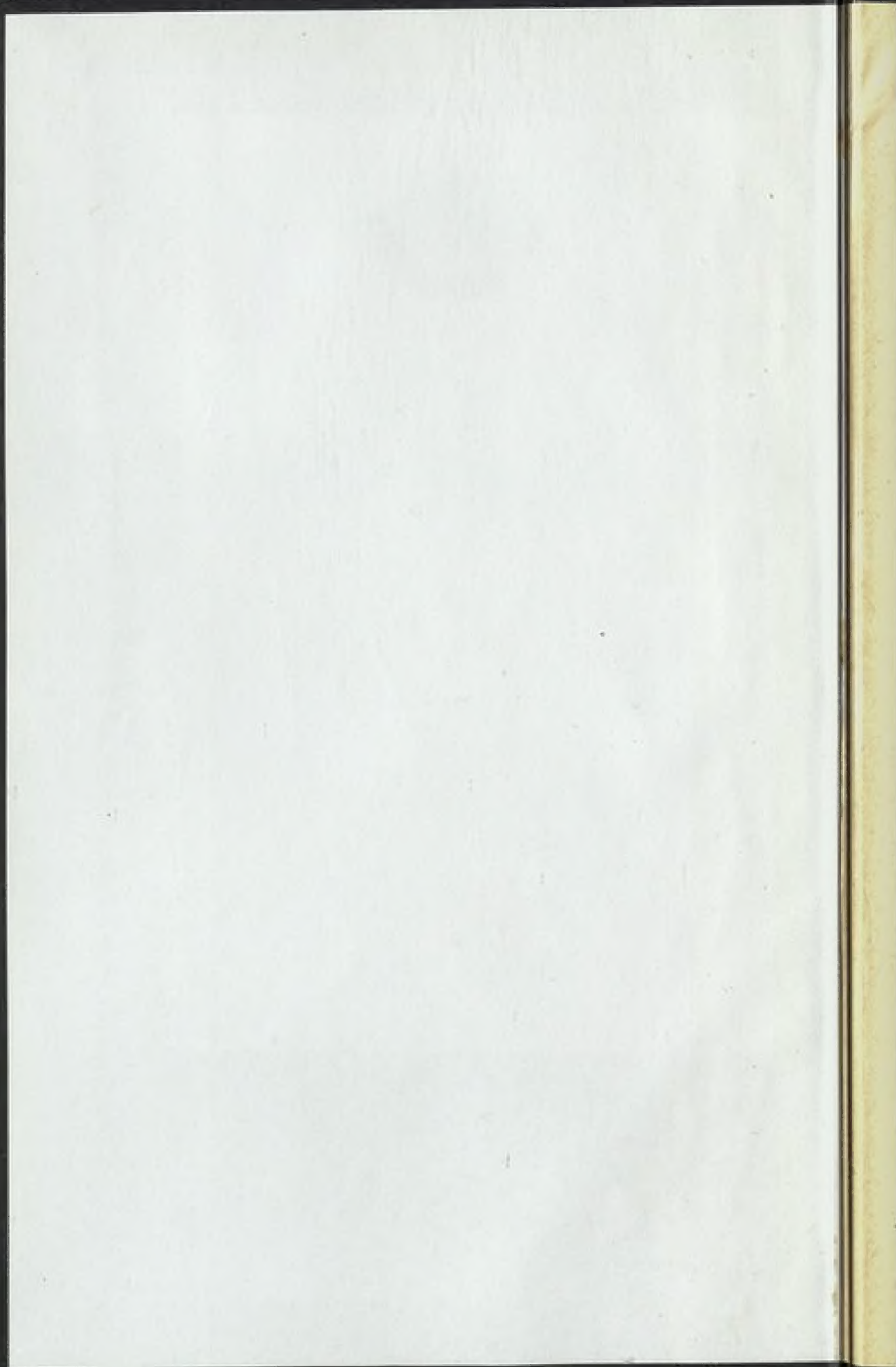
- ٤٤٠ الباب السادس في مسير ابراهيم باشا البطل الهام
بليوث الاجام وفرنسان الصدام لافتح مدينة دمشق الشام
٤٦٠ الباب السابع في خروج حسين باشا من القسطنطينيه
باجيوش السلطانيه لمحاربة العساكر المصريه وانهزامه في حمص
وييلان

- ٦٢٠ الباب الثامن حرب قونية
٧٩٠ الباب التاسع في عقد الصلح مع الدولة العاليه والحكومة

المصريه ورجوع ابراهيم باشا الى سوريا	
الباب العاشر في ذكر من قدم على ابراهيم باشا من الشعراء وقدموا له المديح	٨٧
الباب الحادي عشر في ذكر ما احراه ابراهيم باشا في بر الشام وما اتفق لحضرته في بيروت	١٠٠
الباب الثاني عشر في تردد دروز حوران وانقيادهم الى الطاعة بعد العصيان	١١١
الباب الثالث عشر حرب نذب	١١٦
الباب الرابع عشر في خروج الحكومة المصريه من سورية بعد حروب هائله	١٢٣
الباب الخامس عشر في مآثر قرينه ابراهيم باشا	١٢٦
الباب السادس عشر في ولاية عباس باشا	١٣٤
الباب السابع عشر في ولاية محمد سعيد باشا	١٣٨
الباب الثامن عشر في ولاية اسماعيل باشا	١٤٨
الباب التاسع عشر في ولاية توفيق باشا	١٥٤
فصل في ذكر اقارب توفيق باشا وامراته	١٦١







LIBRARY

DATE DUE

[illegible]

AMERICAN LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00512527

